وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الصحراء الجزائرية بين إمتداد العثماني و الأطماع السعدية خلال القرن 16م

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة:

- مزي زينب

إشراف الأستاذ:

- د/ أحمد جعفري

إسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الصفة
تريعة موسى	أستاذ محاضر أ	رئيساً
جعفري أحمد	أستاذ محاضر أ	مشرفاً و مقررا
ربيعة قريزة	أستاذة مساعدة أ	مناقشاً

الموسم الجامعي : 1441-1442هـ/2020-2021م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

الصحراء الجزائرية بين الامتداد العثماني و الأطماع السعدية خلال القرن 16م

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة:

- مزي زينب

إشراف الأستاذ:

د/ أحمد جعفري

الموسم الجامعي:

1441-1442هـ/2020-2021م

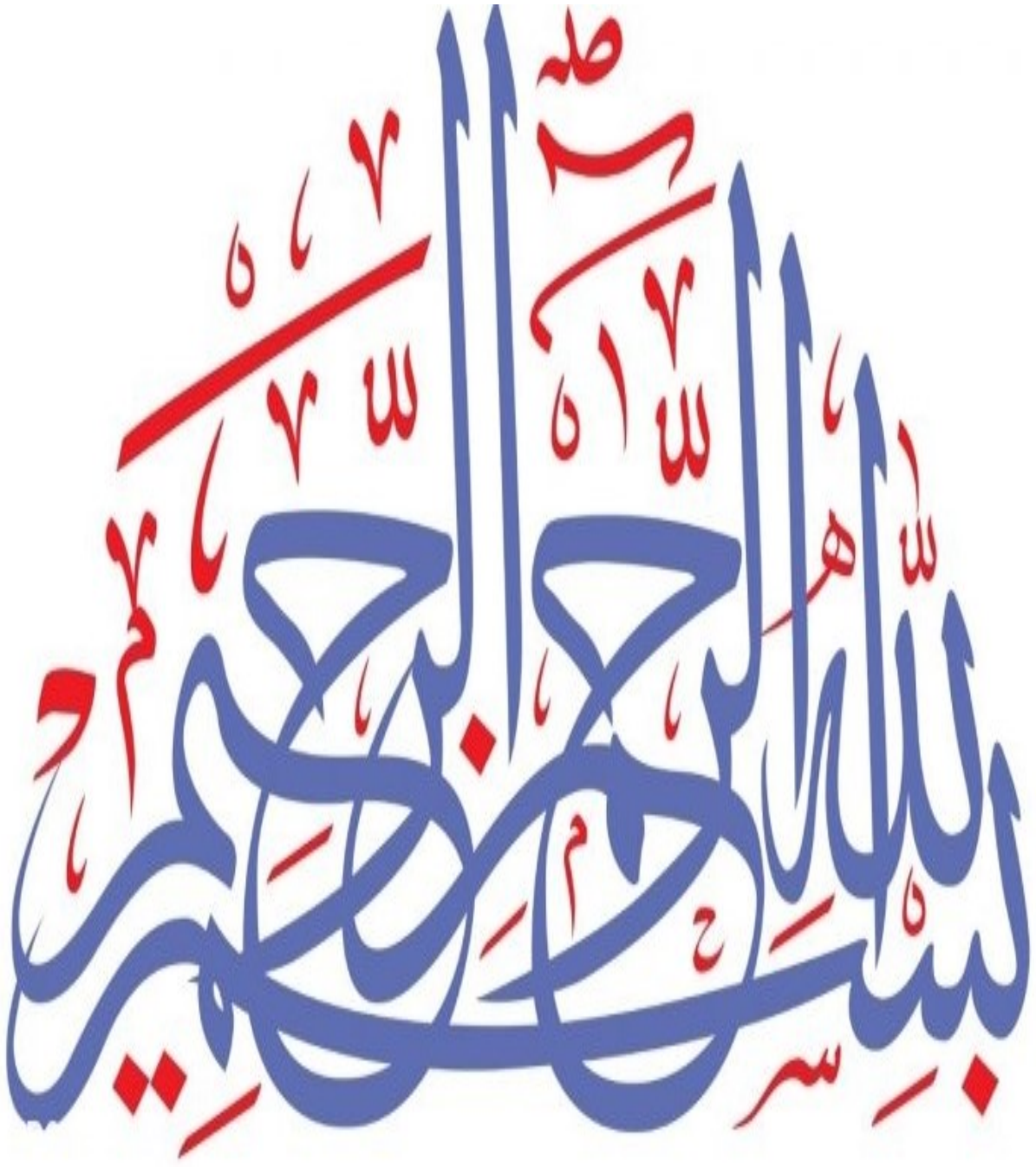
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

فرح لبزوغ فجر جديد من حياتي هو يوم تخرجي و حزن يشوبه الفراق بعد تجمع ...

أهدي ثمرة جهودي لمن كان سببا في وجودي و استمراري فأتقدم إليك يا أبي يا نورا حياتي في الظلومات و يا عوني عند الصعاب يا من كنت سندي طيلة المسار الدراسي أرجوا من الله أن يحفظك و ينصرك ، كذلك لمن لونت عمري بجمالها و حنانها فيعجز اللسان عن وصف جميلها سهرت و ضحت براحتها حتى تراني مرتاحة و شملتني بعطفها و رعايتها ، إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها أمي الحبيبة رعاها الله، ولجدتي الحبيبة الغالية أسأل الله لها الشفاء و العافية وطول العمر المديد،و إلى من ذقت في كنفهم السعادة يقف قلمي وقلبي وانا قبلهم احتراما وتقديرا وامتنانا لهم :إخوتي عسى الله أن يوفقهم إلى أعلى المراتب و أن ينير طريقهم بالقرآن و يرفهم بالعلم، تتهافت الحروف بكلماتها لتجسد اجمل عبارات الشكر والثناءلكم، إخوتي و أخواتي الاعزاء والغالين علي: سليمان ،عزيز ، إبراهيم ، فاطمة الزهراء ، هاجر ، نجاة .

و إلى كل عائلة مزي كبيرا و صغيرا .

و لكل من قضيت معهم أحلى أيام عمري صديقات حبيباتي نورهم الله بنوره : سهيلة بولغتي ، هاجر باجودة ، باتول دحامني ، رقية و بوثينة بن حميدة ، حياة دويدة ، أسماء أولاد لمختار ،جوهرة صداعي، زهرة لمعلم ، زينب بطاهر ، عتيقة عباد . امينة جبريط ايمان معاش زانة تاجر.

إلى جميع أصدقائي في المسار الدراسي و الجامعي .

إلى كل من حمل محفظة العلم طالبا .

إلى كل من ذكره قلبي و نسيه قلمي .

إلى كل هؤلاء أهدي عملي

شكر و عرفان

نشكر الله عز وجل ونحمده على توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل

الحمد الله رب العالمين و الشكر لجلاله سبحانه و تعالى الذي أعانني على انجاز هذه المذكرة

اللهم صلى و سلم على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين و بعد :

فبعد أن أتممت مذكرتي استذكرت الجهود التي تسببت في وصولها إلى شاطئ الأمان و أجد نفسي في كلمة لابد أن أذكرها و هي إن العمل قد تم على ما هو عليه بفضل الله تعالى أولا و بفضل الذين كانت لهم الأيادي البيض عليه و هذه الكلمة أتوجه فيها إلى الله بالدعاء و الشكر إلى أبي الغالي و أمي الحبيبة إلى جدتي طيبة قلبي إلى كل من أفادني من العلم حرفا و إلى كل من قصدته فأعانني و استنصحته فنصحني و حدثني فصدقت الدعاء من القلب أن يجزيه الله خير جزاء فما كان لمذكرتي أن تخرج إلى نور لولا التوجيه السديد و الرعاية الفائقة التي شملني بها الأستاذ "جعفري أحمد " حفظه الله و كان لملاحظاته القيمة الأثر الكبير في إظهار هذه المذكرة فله مني جزيل الشكر و الامتنان و العرفان (فقد قيل من علمني حرفا ملكني عبدا)، كما لا أنسى عظيم شكر و امتنان لجميع أساتذتي الدكاترة المحترمين الذين ساهموا في تكويني سواء في مرحلة الليسانس أو مرحلة الماستر، كما أشكر إدراة مكتبة جامعة غرداية الذين قدموا لي خدمات تتعلق بتزويدي بالمصادر و المراجع .

فجازى الله كل من ساهم من قريب و بعيد في إتمام هذا البحث

و أسال الله التوفيق و السداد

قائمة المختصرات:

1. المختصرات باللغة العربية:

تح: تحقيق

تر: ترجمة

تع: تعليق

تق: تقديم

ج: الجزء

د.ط: دون طبعة.

د.م: دون مشرف.

ص: صفحة.

ص ص:صفحات عديدة متلاحقة.

ط: الطبعة.

ع: عدد.

م: ميلادي.

مج: مجلد.

هـ: هجري.

2. المختصرات باللغة الفرنسية:

T : **Tome**.

Op.**cit** : **Ouvrage précité.**

P:**page**.

مقدمة

تشكل الصحراء الجزائرية جزءً هاماً من الصحراء الكبرى الإفريقية، وهي تنتشر في مجال جغرافي يربط بين اكثر من بلد وحاضرة في بلاد المغرب الحديث، وذلك ما أهلها لأداءِ دورٍ بارزٍ في ربط صلاتٍ و علاقات متعددة ومتميزة داخلية بينية وخارجية، أثمر ذلك نشأة مجموعة من الامارات والحواضر كانت شاهدة على عمق تلك العلاقات وأكدت أهمية تلك الحواضر خاصة توات وورجلان وغيرها، وهو ما يظهر في حدة الصراع عليها من استقطابها الى ضمها أو الاستيلاء عليها أكان ذلك بمنظور شرعي كالخلافة او من منظور ديني وسياسي في اطار التوسع واظهار العظمة، وبدخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر و تركزهم في المدن الشمالية، رأى بعض حكامهم أن إخضاع القبائل و الإمارات الصحراوية ضرورة من اجل بسط النفوذ وتحقيق السيطرة، فسعت لتحقيق ذلك، أما في المغرب الأقصى نجد قيام الدولة السعدية تزامن مع تواجد العثمانيين في الجزائر، وعلى هذا الأساس أصبحت الصحراء الجزائرية بين قوتين كل من هما تسعى لإحكام السيطرة عليها خصوصا و أن الصحراء كانت بعيدة عن مركز الحكم وتتمتع بالاستقلالية وغياب نظام حكم قارٍ، وعلى هذا الأساس جاء عنوان المذكرة كتالي: " **الصحراء الجزائرية بين الإمتداد العثماني و الأطماع السعدية خلال القرن 16م**".

كما أن اختياري للموضوع كان من ورائه مجموعة من الاسباب الموضوعية والذاتية منها:

- ميلي الشخصي إلى هذا النوع من الدراسات التاريخية ورغبتي في التعرف أكثر على ما كان يحدث في صحرائنا.
- إطلاعي المسبق على الموضوع المراد دراسته.
- تشجيع الأستاذ المشرف على خوض غمار البحث في الموضوع.
- قلة الدراسات الأكاديمية وغموضها حول الموضوع سواء الجانب الزماني أو المكاني.
- عزوف الباحثين عن الدراسات المتعلقة بالصحراء الجزائرية خلال القرن 16م خاصة ما تعلق منها بالعلاقات البينية والحواضر الصحراوية.
- إثراء مكتبة الجامعة بدراسة تتناول الصحراء الجزائرية واهميتها في اطار الصراع والاستقطاب.

وعلى هذا الأساس جاءت إشكالية دراستي كتالي:

اين تظهر اهمية الصحراء الجزائرية في اطار الصراع العثماني السعدي بين الاستقطاب والاستيلاء خلال القرن 10هـ/16م؟ ولمعالجة هذه الإشكالية قمت بتجزئتها لمجموعة من التساؤلات حملت:

- ما طبيعة الصحراء وكيف تم تعميرها؟ اين تكمن اهميتها الاقتصادية ؟
- إلى أي مدى تمكنت السلطة العثمانية من استقطاب الإمارات الصحراوية ؟
- كيف كان التدخل السعدي في الصحراء الجزائرية؟ وما نتائج ذلك التدخل؟ وكيف كان اثره على العلاقات السعدية العثمانية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات إعتمدت على الخطة التالية وذلك بتقسيم البحث إلى مقدمة و ثلاثة فصول وخاتمة وبعض الملاحق الضرورية للبحث

عرّفت في المقدمة بالموضوع والعوامل التي دفعتني لاختياره و إلى الإطار الزماني و المكاني و الإشكالية التي طرحتها و المناهج المتبعة في المذكرة، و إلى المصادر و المراجع التي رجعت إليها في جمع المادة العلمية و إلى العقبات التي واجهتني أثناء إنجاز المذكرة.

الفصل الأول جاء بعنوان جغرافية الصحراء الجزائرية خلال القرن16م، عالجت فيه ثلاثة مباحث، المبحث الأول بعنوان مفهوم الصحراء وقد وزعته على ثلاثة عناصر العنصر الأول بعنوان مفهوم الصحراء الذي كان فيه اختلاف من حيث المدلول عبر فترات زمنية مختلفة ، و العنصر الثاني إطارها الجغرافي الصحراء الجزائرية الذي تحدثت فيه عن الحدود الجغرافية لها، وتضاريسها المتنوعة، ويليه العنصر الثالث بعنوان أهم المراكز الصحراوية التي كانت في تلك الفترة من الزمن ، ثم المبحث الثاني الذي جاء تحت عنوان تعمير الصحراء الجزائرية، فقد تحدث فيه عن أهم الأجناس التي عمرت في الصحراء على اختلاف ألوانهم و أصولهم و أشكالهم وكانت سبب في ازدهار النشاط الاقتصادي بها، وقسمته إلى عنصرين الأول السكان الأصليين و العنصر الثاني السكان الوافدون ، ثم المبحث الثالث حيث اندرج تحت عنوان الأوضاع الاقتصادية في الصحراء الجزائرية فقد ارتأت أن أجزئه إلى ثلاثة

عناصر، العنصر الأول بعنوان الوضع الزراعي في الصحراء ويتحدث عن طريقة الزراعة فالصحراء، و العنصر الثاني بعنوان الوضع الصناعي في الصحراء فقد جاء الحديث فيه عن أهم الحرف التي كانت سائدة في تلك الفترة ، ويليه العنصر الثالث الوضع التجاري في الصحراء ، فقد تحدث فيه عن حال تجارة في تلك الفترة و عن الأسواق و السلع المتبادلة ، أما عن الفصل الثاني فقد جاء بعنوان حدود امتداد السلطة العثمانية في الصحراء الجزائرية و قسمته إلى ثلاثة مباحث ، المبحث الأول بعنوان علاقة السلطة العثمانية بالإمارات الصحراوية ، فقد سعيت فيه إلى ضرورة إشارة إلى العلاقة التي ربطت بين السلطة و تلك الإمارة ، ومنه قسمته إلى ثلاثة عناصر، أولا علاقة السلطة العثمانية مع ورقلة ، ثانيا علاقتها مع تقرت، ثالثا مع طوارق و توات، وبعده المبحث الثاني الذي جاء بعنوان الحملات العثمانية على الإمارات الصحراوية، هو الأخر قسمته إلى ثلاثة عناصر، أولا الحملات العثمانية على بسكرة، ثانيا الحملات العثمانية على تقرت ، ثالثا الحملات العثمانية على ورقلة،

أما بخصوص الفصل الثالث و الأخير فقد اندرج تحت عنوان الأطماع السعدية في الصحراء الجزائرية خلال القرن 16م ، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث و الباحث إلى عناصر ، المبحث الأول بعنوان العلاقات الجزائرية مع السلطة السعدية ، ويحتوي على عنصرين ،أولا حرب محمد الشيخ السعدي مع الجزائر ، ثانيا مقتل محمد الشريف السعدي ، بعدها المبحث الثاني وقد جاء بعنوان التوسع السعدي في الصحراء الجزائرية ، هو الأخر قسمته إلى عنصرين ، أولا دوافع الحملات السعدية على الصحراء الجزائرية، ثانيا الحملات السعدية في عهد محمد الشريف ، ثالثا الحملات السعدية في عهد أحمد المنصور، ويليه المبحث الثالث بعنوان نتائج و أهم المواقف من تلك التدخلات السعدية ، أولا نتائج الحملات السعدية ، ثانيا موقف حكام الجزائر من التدخلات السعدية على الصحراء ، وفي الأخير وضعت خاتمة رصدت فيها مجمل النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث مبرزتا أن الصحراء كثيرا ما كانت بمثابة مصرح لصراع التركي السعدي .

أما الملاحق فقد قدمت فيها مجموعة من الصور ذات الصلة بالموضوع و خرائط لموقع بعض الإمارات الصحراوية ، كما وضعت قائمة ببيلوغرافيا تحتوي قائمة المصادر و المراجع و الرسائل التي كان لها الأثر البارز في دعم هذا البحث بما تحويه من معلومات قيمة .

أهمية الدراسة : للموضوع أهمية كبيرة في كونه يسلط الضوء على جانب مهم من تاريخ الصحراء لم يعطى حقه من الدراسة نظير التعقيدات التي يحملها وندرة المصادر والوثائق التي تعرف بها.

-ابراز اهمية الصحراء استراتيجيا واقتصاديا وحضاريا.

-تقديم الصراع والاستقطاب للصحراء من خلال رؤية اكاديمية وموضوعية.

أهداف الدراسة :

-توضيح مدى تأثير الأحداث التاريخية الماضية على العلاقات الدولية الحالية خصوصا في الصراع الدائر حول الصحراء الكبرى الافريقية بين مختلف القوى المحلية والدولية.

-السعي إلى التعريف بالدور التاريخي والحضاري للصحراء الجزائرية بابراز دورها التجاري ومكانتها الاستراتيجية مما جعل منها محل أطماع مختلف القوى الاقليمية آنذاك.

الدراسات السابقة: بالنسبة للدراسات السابقة حول الموضوع فهي نادرة جدا لكن وجدت بعض الدراسات التي تتقاطع مع موضعي في بعض النقاط أذكر منها :

بوسعيد أحمد، الحياة الاجتماعية و الثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م، مذكرة ماجستير، فقد تقاطعت مع موضوعي في نقطة علاقات السلطة السعدية السلطة الجزائرية . كذلك وجدت عمار بن خروف: العلاقات بين الجزائر و المغرب، رسالة ماجستير، فقد إجتمعت معه في نقطة العلاقات بين المغرب الأوسط و الأقصى و أيضا أطماع السعدية في الصحراء الجزائرية وماجاورها.

المنهج المتبع في الدراسة :

اتبعت في هذه الدراسة المنهجين التاريخي والوصفي التحليلي، الأول إستخدمته لنقل الاحداث وعرضها بطريقة وصفية من خلال ما جمعت من المصادر و المراجع، ولجأت إلى المنهج الثاني

(التحليلي) لتحليل ومناقشة الأحداث و ما ارتبط بها من آثار وتداعيات، من أجل الوصول للإجابة عن التساؤلات التي طرحتها.

ولإنجاز هذه المذكرة إعتمدت على مجموعة من المصادر من اهمها:

تحفة النظار في غريب الأمصار و عجائب الأسفار لابن بطوطة الذي وظفته في التعريف بالصحراء و أهم تضاريسها. كذلك **كتاب تاريخ ابن خلدون** الذي إستفدت منه هو الآخر في موضوع حدود الصحراء و أهم الإمارة بها و كذلك أمور التجارة بالصحراء، **كتاب وصف إفريقيا** لحسن بن محمد الوزان الفاسي وهو ترجمة عن الفرنسية من طرف محمد حجي و محمد الأخضر، إستعنت به في التعريف بالمناخ و التربة و الأودية مائية في الصحراء الجزائرية .

مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا: لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي، عاصر أحمد المنصور، ووضع كتابه هذا وفقا لتعليماته، و يعتبر المؤرخ الرسمي للدولة السعدية، تناول بالدراسة والتفصيل لحملة أحمد المنصور على توات و تكورارين، وغيرها من الحملات السعدية على المنطقة. وهي تحمل وجهة نظر مغربية بحتة واحادية.

تاريخ الدولة السعدية التاكمدراتية : لمؤلف مجهول و الذي قد يكون مكناسي الأصل، أو ممن سكنوا مكناس مدّة طويلة ، ويرجح أنه من بقايا الوطاسيين، نشره جورج كولان سنة 1934م كما قدمه و حققه عبد الرحيم بنحادة سنة 1994م.وعلى هذا فالكتاب يزودنا بتفاصيل تاريخية، كثيرا ما أهملها غيره، و معلومات عن التدخلات السعدية فالقطرين توات و تكورارين .

وبالنسبة للمراجع:

نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لعبد الله محمد بن أحمد الأفراني الملقب بالصغير مؤرخ مغربي، و من مصنفي التراجم ،ولد بمدينة مراكش نحو 1669م و توفي نحو 1744م، اشتهر أنه أرخ للدولة السعدية في المغرب، وعن علاقاتها مع المغرب الأوسط ، وقد صححه هوداس وترجمه إلى الفرنسية و نشره سنة 1889م تحت عنوان نزهة الحادي تاريخ السعديين في المغرب من سنة 1511م إلى 1670م.

الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للناصري وهو قبل كل شيء تجميع لمختلف روايات أحداث المغرب ، يحتوي على تسعة أجزاء ، حيث اعتنى بتاريخ المغرب من أول الفتح إلى العصر العلوي المتأخر وقد إعتمدت في هذه الدراسة على الجزء السابع الذي يتطرق فيه إلى تدخل أحمد المنصور في الصحراء الجزائرية .

الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات للمؤلف عبد الله حمادي الإدريسي الذي ذكر أحداث و جزئيات هامة من تاريخ توات و تيكورارين و أهم الوقائع التي حدث فيهما ، وقد إستعنت بالجزء الأول في هذه الدراسة .

أما عن الرسائل الجامعية نجد : عمار بن خروف ، العلاقات بين الجزائر و المغرب الذي فصل في الحديث عن العلاقات بين البلدين وقد أفادني أكثر في معرفة أسباب التوتر والسلم العلاقات بين الطرفين . **كذلك سالمي زينب** الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 8-10هجرية التي تفصلت في الحديث عن المنطقة الصحراوية عامة و توات خاصة و قد أخذت منها كيف كانت توات محل الأطماع السعدية و مدى أهميتها كموقع تجاري .

الصعوبات :

-واجهتني جملة من الصعوبات لعل أهمها : ندرة الدراسات السابقة المساعدة.

-صعوبة ضبط المادة العلمية للبحث.

-ندرة المادة العلمية و المصادر المتخصصة التي تناولت الموضوع في القرن 16م.

-الظروف الصحية الاستثنائية والموانع القانونية التي حالت دون تنقلي للمناطق المعنية بالدراسة رغم بعدها.

الفصل الأول:

جغرافية الصحراء الجزائرية خلال القرن 10هـ-16م

-المبحث الأول : طبيعة الصحراء

-المبحث الثاني: تعمير الصحراء

-المبحث الثالث : الأوضاع الاقتصادية في الصحراء

الفصل الأول : الصحراء الجزائرية خلال القرن 16م

تمثل الصحراء في تاريخ إفريقيا الدور الذي لم يلعبه المحيط الأطلسي من

المبحث الأول: جغرافية الصحراء الجزائرية خلال القرن 16م

أولا :طبيعة الصحراء

1-مفهوم الصحراء:

-لغة: الصحراء هي أرض فضاء واسعة فقيرة الماء جمعها صحاري، ويقال أصحر المكان أي اتسع، وصحراء أو صحر الشيء إذا أشرب لونه حمرة خفيفة.[1]

قال الجوهري عنها: جمع الصحاري الصحراوات وصحاري هي مؤنث الصفة ويقال أصحر أي الذي يضرب لونه من الحمرة إلى الغبرة.

-اصطلاحا:الصحراء الكبرى هي كلمة عربية تعني الأرض الجرداء، وإذا مثلت للعرب الأرض الواسعة المسطحة القاحلة من كل نبات، وهي الأقاليم التي تتميز بندرة المياه وقلة النباتات، حيث يقل المتوسط السنوي للأمطار فيها.[2]ورغم أن مثل هذا التعريف يحظى بالاتفاق وعلى أساسه أصبح الاسم للصحاري هو المناطق الجافة وشبه الجافة. إلا أن هناك اختلافات بين العلماء في تعريف الصحراء، حيث أن البعض يأخذ بندرة الأمطار أساسا للتعريف ومنهم من يعتبر نوع التربة وأصناف النباتات أساسا لتحديد المنطقة وتصنفها، وعلماء آخرون يجمعون بين هذه العناصر كلها، فيطلقون اسم الصحراء على كل منطقة قليلة النبات، بسنن قلة الأمطار وجفاف التربة[3]. وبهذا فأغلب التعريفات في المراجع و الكتب تذهب إلى أن هناك صعوبة في تعريف الصحراء حيث تم الاتفاق على مبدأ أنها منطقة جافة ، و يرتبط التعريف كذلك بأنها الأقاليم التي تفتقر إلى الحياة النباتية و الحيوانية

---

[1] عطية شعبان ، و أخرون : المعجم الوسيط ، ط4 ، مجمع اللغة العربية و مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، ص 110.

[2] غير ستر جورج : الصحراء الكبرى ، تر خير حماد ، بيروت ، المكتب التجارية للطباعة و التوزيع و النشر ، 1961،ص 9.

[3] العمري فاروق : مبادئ علم الجيولوجيا ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، 2002،ص 205.

لكن ليس بمعنى الافتقار التام بل توجد هناك حياة تتسم بالصعوبة و قساوة المناخ[1]،يبدو أن الصعوبة التي وجدها الرحالة والمفكرون في تعريف الصحراء نابعة من الصعوبات التي تنفرد بها تضاريس الصحراء و جغرافيتها التي تنفرد بها عبر المعمورة فالجفاف يعتبر ظاهرة جيولوجية واضحة للعيان بحكم ندرة التساقط و الوديان و مصادر المياه ماعدا منها الباطنية التي بختلف و جودها من بقعة إلى أخرى ،لكن ما تتميز به الصحراء هو التنوع من حيث الغطاء النباتي الذي يظهر في بعض المناطق على أنها جنة خضراء فوق الأرض وهو ما يدعو الباحثين للبحث بل يدفعهم للبحث أكثر فأكثر في سر الصحراء المدهشة.

لهذا استعمل اليعقوبي في القرن التاسع للميلاد كلمة الصحراء ليعني بها المقبرة التي يدفن فيها الناس موتاهم[2] ، ولكنها في القرن نفسه ظهرت في كتاب (فتوح إفريقيا و الأندلس) للجغرافي المصري ابن الحكم لتعني جزء من شمال إفريقيا .[3]

بينما أطلق الإدريسي لفظ الصحراء سنة 1154م على النطاق الشاسع الواقع بين سلسلة الأطلس الصحراوي شمالا و بلاد الزنج جنوبا و فزان شرقا و مملكة صنهاجة غربا [4]، و أعاد ليون الإفريقي[5] في القرن السادس عشر بعث الاسم القديم ليبيا أما في العصور الحديثة اتسع مدلول كلمة الصحراء التي أطلقت قديما على هضبة آير لتشمل كل منطقة الصحراء بين السودان[6] و البحر المتوسط.[1]

---

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، **ترجمة عن الفرنسية ، محمد حجي و محمد الأخضر ، ج 01، بيروت** ، دار الغرب الإسلامي، ط 2 ، 1983، ص 61.

[2] أحمد إسحاق اليعقوبي : البلدان ، تحقيق محمج أمين الضناوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2002، ص 103 .

[3] عبد الرحمان بن عبد الحكم : فتوح إفريقيا و الأندلس ، تحقيق ، عبد الله أنيس الطباع ، بيروت ، دار الكتب اللبناني ، 1964، ص 98 .

[4] أبو عبد الله الشريف الإدريسي ، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق و تقديم ، و تعليق ، إسماعيل العربي ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983، ص ص 87-103 .

[5] ليون الإفريقي : هو الحسن بن محمد الوزان الغرناطي الفاسي الزياني ، ولد سنة 1485م بغرناطة ثم هاجرت عائلته إلى فاس ، زار الجزائر و وتونس و ليبيا ، مصر و السودان و موريتانيا ، مالي و غينيا و السينيغال و غانا و نيجيريا ، و بالتالي عرف إفريقيا البيضاء و السوداء جيدا و كتب عن الصحراء و رحلته بها . أنظر كتابه : حسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ترجمة عن الفرنسية ، محمد حجي و محمد الأخضر ، ج 01، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1983.

[6] السودان : المقصود بلاد الزنج الواقع جنوب الصحراء الكبرى .

عرف ابن منظور الصحراء في كتابه "لسان العرب "بأنها الأرض المستوية في لين وغلظ دون القفر ،ويعرف الزبيدي في كتاب تاج العروس "قيل هي الفضاء الواسع " وقال ابنشميل: "الصحراء من الأرض مثل ظهر الدابة الأجرد ليس بها شجرة ولا أكام ولا جبال ملساء، وجمعها صحراوات وصحار"[2].

كما تشغل الصحاري مساحات شاسعة على وجه الكرة الأرضية تصل إلى نحو 45.5مليون كلم^2، وتمتد في نصف الكرة الشمالية مابين دائرتي عرض (22°-48°)شمالا في آسيا، وبين (6°-3°) جنوبا في إفريقيا،كما تشغل مساحات مهمة أيضا في قارة أمريكا الشمالية والجنوبية وفي أستراليا.[3]

تقسم المناطق الصحراوية في العالم وفقا للظروف المناخية إلى:

أ-صحاري حارة: تقع في الغالب مابين درجتي عرض 18°إلى 30°شمالا وجنوبا في غرب القارات. أهما آسيا: صحراء الجزيرة العربية، وصحراء (ثار) في الهند، وفي إفريقيا صحراء كلهاري والصحراء الكبرى، وصحراء (أريزونا)في أمريكا الشمالية وصحراء (بريت ساندي) في غرب أستراليا.وأبرز المميزات في الصحاري الحارة:

-ارتفاع المتوسط السنوي لدرجة الحرارة حيث لا يقل في الغالب عن 18°، وارتفاع الحراري اليومي والسنوي.[4]

-انخفاض الرطوبة وندرة الأمطار بحيث لا يتجاوز متوسطها السنوي 25سم، وتكون موسمية وترجع قلة الأمطار فيها إلى وقوعها غالبا في منطقة الضغط المرتفع وراء المداري فلا تنجذب الرياح المحملة بالبخار إليها.[5]

---

[1] جمال الدين الدنيا صوري و آخرون : جغرافية العالم ، ج 02، (إفريقيا و أستراليا) ، القاهرة ، المكتبة الأنجلو مصرية ، بدون تاريخ ، ص 250.

[2] أبو الفضل ابن منظور: لسان العرب، مج 4،دار صادر، بيروت-لبنان، 1997 ، ص 443.

[3]العمري فاروق: المرجع السابق، ص 206.

[4] جمال الدين الديناصوري و آخرون ، المرجع السابق ، ص ص 260-261 .

[5] جودة حسنين جودة و علي أحمد هارون : جغرافية الدول الإسلامية ، الإسكندرية ، منشأة المعرف ، 1999، ص 76 .

ب- صحاري معتدلة: تمتد في أغلب الأحيان في الأجزاء الداخلية للقارات بين دائرتي عرض 40°إلى 60°شمالا وجنوبا. حيث تظهر في وسط آسيا وأمريكا الشمالية، أما نصف الكرة الجنوبي فتظهر في أمريكا الجنوبية، ولا توجد الصحاري المعتدلة في إفريقيا لعدم امتداد القارة جنوبا نحو العروض التي تظهر فيها هذه الصحاري،وأبرز مميزاتها :نجد المتوسط السنوي لدرجة الحرارة لا يزيد في الغالب عن 18°.

-متوسط كمية الأمطار قليل جدا، وعلى الرغم من ذلك فهو أفضل منه في الصحاري الحارة،وترجع قلة الأمطار في الصحاري المعتدلة إلى وقعها داخل القارات بعيد عن المؤثرات المحيطية.

ج-الصحاري الباردة:تمتد من شمال دائرة عرض 70°شمالا في آسيا و أمريكا الشمالية، وكذلك في القطب الجنوبي في قارة (انتار كتيكا) من أبرز مميزتها المناخية :

-متوسط درجة الحرارة السنوي يزيد عن الصفر المئوي .

-متوسط أمطارها السنوي لا يزيد عن 25سم وهي عبارة عن ثلوج .

وتعبر الصحراء الكبرى أكبر صحاري العالم الحارة ، و هي تمتد من المحيط الأطلسي حتى البحر الأحمر على امتداد الشمال الإفريقي كله ، حيث يقدر طولها بأكثر من 5.630كلم و من الشمال إلى الجنوب يصل عرضها إلى ما يزيد على 1.930كلم ، و تغطي مساحة تقدر بنحو 9مليون كلم^2.تغطي الصحراء الكبرى أجزاء من المغرب و الجزائر و تونس و السودان و مصر و تشاد و النيجر و مالي و موريتانيا . وتشمل هذه المناطق سلاسل من الجبال و الهضاب الصخرية و مساحات شاسعة من الأراضي السهلية التي تغطيها الحصباء و الكثبان الرملية [1]. وتشكل الصحراء الجزائرية التي تمثل حوالي 87%من مساحة الجزائر قسمها من الصحراء الكبرى.

2-الموقع الجغرافي للصحراء الجزائرية:

يشغل الجنوب الجزائري جزءً هاماً من الصحراء الكبرى الإفريقية التي تعد من أكبر صحاري العالم والمترامية حدودها من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا، ومن جبال الأطلسي شمالا إلى

[1] إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى و شواطئها ، سلسلة الدراسة الكبرى ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ، 1983، ص 13.

بلدان الساحل[1] جنوبا[2]، وتغطي الصحراء الكبرى مساحة ثمانية ملايين كيلو متر مربع، يشترك فيها كل من جنوب المغرب والجزائر وتونس وليبيا وشمال مصر وغرب موريطانيا ومالي والنيجر وتشاد وجنوب السودان.

أما الصحراء الجزائرية الممتدة مابين الحدود التونسية والمغربية فهي عبارة عن منخفض واسع بين كتل جبلية متمثلة في جبال الأطلس الصحراوي من الشمال، وجبال الهقار جنوبا، وهي ضم كتل صخرية وكثبان رملية، وتشكيلته مكونة من الصخور البركانية القديمة المتميزة بالرتابة والانبساط[3]. وتبلغ مساحة الصحراء الجزائرية 1987600كلم^{2}وبذلك تحتل مساحة واسعة تجاوزت نسبتها 90% من المساحة الكلية للجزائر.

يمكن تحديد بدايات الصحراء الجزائرية كما عرفها دوماس[4](Daumas) بأنها تبدأ من الواحات الست الواقعة جنوب الجزائر من وادي سوف،وادي ريغ، تماسين، ورقلة شرقا، ميزاب و أولاد سيدي الشيخ من الجهة الغربية و عن المدن والواقعة جنوبا نجد تلك التي تربط غدامس بطريق المنيعة و توات

---

[1] بلدان الساحل: هو مصطلح عربي يطلق على بلدان السهل، فترجمت إلى الفرنسية إلى ساحل Sahel، ثم عربت إلى كلمة الساحل يقصدون بها الطرف الجنوبي لصحراء إفريقيا الشمالية يتميز بوجود سهوب دغلة منقطعة بأشجار شوكية (أكاسيا)و تجليات دائمة .أنظر :جورج بيار: معجم المصطلحات الجغرافية ، تر : محمد الطفيلي ، مر : هيتم اللمع ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط 2 ، 2002 ،لبنان ، ، ص 441 .

[2] إسماعيل العربي : الصحراء الكبرى و شواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983، ص 13.

[3]محمد الهادي العروق : أطلس الجزائر و العالم : دار الهدى ، 2009، ص ص13-15.

[4]دوماس Daumas (Melchior-Joseph-Eugène): هو عضو بمجلس الشيوخ الفرنسي و مؤلف ، ولد في 04 سبتمبر 1803م ، دخل الجيش كمتطوع في عام 1822م ، عين ملازم ثاني سنة 1827م ، في عام 1835م جاء إلى الجزائر بأمر من المارشال كلوزيل (Maréchel Clauzel) ، تعلم اللغة العربية كما تقلد عدة مناصب منها في معسكر ما بين 1837-1839 ، له كتابات عديدة و ترجمت إلى الإسبانية و الألمانية منها :كتاب القبائل الشؤقية (الجزائر 1844) Alger) Les Kabyles l'Est(1844، كتاب الصحراء الجزائرية le Sahara Algerienne و كتاب الحياة العربية و المجتمع المسلم arabe et la société musulmame,la vie، توفي في جيروند في شهر ماي 1871م، للمزيد أنظر :
Faucon Narcisse , Le livre d'or de L' Algérie ,T.1,librairie Algérienne et coloniale ,paris , 1889 , p 178-179.

[1]. كما يضيف أوغستين(Augustin)[2]أن بجنوب الأطلس الجزائري حوضان أساسيان هما وادي اغرغار من الشرق و وادي زوزفانة و الساورة من الغرب و يفصل بينهما هضبات طباشيرية لمنطقة ميزاب و المنيعة و تادمايت[3].كما يؤكد السيد غوتيه(Gautier) أن الحوض الغربي يمتد من فكيك حتى تيديكلت ويمر عبر قورارة و توات على طول 800كلم[4]،ما وراء تيديكلت هناك كتلة صخرية و هي مركز الطوارق تمتد من الغرب إلى الشرق على طول خط 12°تشكل كل من الأهقار و التاسيلي[5].

أما أحمد توفيق المدني فيحدد الموقع الجغرافي للصحراء الجزائرية بأنها تبتدئ من سلسة الأطلس الصحراوي ، في الشرق بجبال الاوراس وتستمر سائرة نحو الغرب بجبال أولاد نائل و جبال الجلفة وجبال العمور وجبال القصور ، فإذا انحدرت منها وجدت نفسك أمام الصحراء فأرضها ليست منبسطة كما تظهر ، و إنما ترتفع شيئا فشيئا نحو الجنوب حيث يبلغ ارتفاعها عند الهقار 1900مترا عن سطح البحر ، وتنقسم إلى قسمين ، القسم الصخري الحمادة[6] ، والقسم الرملي

---

[1]Numa Broc : « les Français face à l'inconnue Saharienne (géographes, explorateure , ingénieurs 1830-1881) », Annales de géographie , T.96, N°.535,1987, p306 .

[2]أوغستين برنارد (Augustin Bernard): من مواليد 1865م وهو واحد من موظفي غرفة العلوم الجغرافية الذين يهتمون بدراسة الجغرافيا التاريخية ، اهتم بجغرافية إفريقيا ، وعلى إثر تنظيم جامعة السوربون لتعليم الجغرافيا و استعمال شمال أفريقيا شغل أوغستين هذا الكرسي لمدة ثلاثة وثلاثين عاما حتى سنة 1935م ، وقد كتب حول جغرافية الصحراء و غرب إفريقيا في مجلدين كبيرين تم إصدارهما في سنة 1937و1939م . توفي في بوريونيوم : 29ديسمبر 1947م .للمزيد أنظر :

LarnaudeMarcel , « Nécrologie-Augustin Bernad(1865-1947) » , Annales de Géographie , T. 57, N°305,1948. pp. 56-57 .

[3]Augustin Bernard : « Sahara Algérien et Sahara Soudanais » ,Annaales de géographie , T.19, N°105, 1910,p 261.البلد

[4]Emile Gautier : « Sahara Oranais », Annales de géographie , T.12, N°.63, 1903, p 234.

[5] Augustin Bernard : Op.cit, p 263 .

[6] أحمد توفيق المدني : هذه هي الجزائر ، دار البصائر ،الجزائر ، 2009، ص ص 222-223.

والصحراء في تركيبها الجغرافي أبسط من المنطقة التلية ، إذا لا نجد بها الجبال المتقطعة ،ولا المرتفعات المعقدة ولا السهول الضيقة المحصورة ، ولا الإلتواءات الحديثة ، ولكن نجد السهول و الأحواض المغلقة و الجبال بحافاتها الشديدة الانحدار و العروق الرملية المتنقلة [1].

ثانيا- التضاريس[2] و المناخ :

أ- يتميز سطح الصحراء ببنية تضاريسية بسيطة ومتنوعة في أشكالها المورفولوجية والتي تبرز في الوحدات الأربع الأساسية الآتية:

-القسم الأول:الصحراء المنخفضة تتمركز الصحراء المنخفضة في الجزء الشمالي الشرقي و تتميز بمنخفض يقل ب 24مترا عن مستوى سطح البحر ، بينما الأراضي المجاورة لا يزيد سطحها على ارتفاع مائتي مترا [3].

-القسم الثاني : السهول الرملية تحتل مساحات واسعة من الصحراء و تتمثل في العرق الشرقي الكبير[4] ، و العرق الغربي الكبير[5] ، إلى جانب عروق أخرى ثانوية كعرق الشاش و ايقدي

---

[1] احميدة عميراوي ،سليم زاوية ، محمد السعيد قاصري : السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1816-1844م، ط1، دار الهدى ، الجزائر،2009، ص10.

[2] أنظر الملحق رقم : 1.

[3] إبراهيم مياسي : توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912م، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، مطبعة ANEP رويبة ، الجزائر، 1996م، ص19.

[4] العرق الشرقي الكبير : هو سطح واسع الأطراف تغطيه كثبان رملية يتراوح ارتفاعها مابين 260و 500م ، وتنتشر بكثافة في الشرق حيث العرق الشرقي الممتد من الحدود التونسية حتى المنخفض بفصل بين تادمايت و المنيعة .ينظر محمد الهادي لعروق : المرجع السابق ، ص 14.

[5] م.و.ب.ح.و، و ثورة أول نوفمبر 1954: **فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية** ، دراسات و بحوث الملتقى الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر ، م و ب ح و ، ص23. السنة؟؟؟العرق الغربي الكبير : يمتد مابين بني عباس و المنيعة إضافة إلى عرق الشاش و إيقيدي . ينظر محمد الهادي لعروق : المرجع السابق ، ص14.

والراوي و غيرها ، كذلك تتمثل في تضاريس الرق[1] و هي صحراء تكاد تكون خاليا من مظاهر الحياة مثل رق تانزووفت[2] .

-القسم الثالث :الهضاب الصحراوية وهي في معظمها ذات تكوينات صخرية جيرية ، ومنها هضبة الحمادة[3] التي تمتد في الجزء الشمالي من الصحراء إلى الجنوب من السلسلة الأطلسية ، وهضبة تادمايت الكريتاسيا الفسيحة و الممتدة في وسط الصحراء بين دائرتي عرض 27و 30درجة شمالا ، ترتفع إلى علو يناهز 600متر ، وقد غطتها على امتداد مئات الكيلومترات من الشمال إلى الجنوب طبقة من اللون الأحمر القديم ويعلوها غطاء صحراوي حديث أثرت فيه إلى حد كبير الرياح و إن كانت تدفقات السيول قد شاركت في تكوينه .[4]

-القسم الرابع :المرتفعات القديمة تتمركز في الوسط بالجنوب الشرقي و تمثلها منطقة التاسيلي ومنطقة الهقار[5] فالأولى عبارة عن صخور من صلصال الرمال شاهقة و متقطعة ، أصبحت تعد من أهم سجلات التراث الإنساني في العالم بعد العثور بها على أقدم الرسومات المعبرة عن الحياة و المناخ للمنطقة في القديم .

أما الثانية فهي مرتفعات واسعة المساحة حوالي 5000كلم^2 معظمها من الصخور القديمة البركانية التي تعرضت إلى عملية النحت ، ورغم ذلك لا تزال بها قمم عالية تقارب 3000م كقمة تاهات التي تبلغ 2918متر وهي أعلى قمة جبلية في الجزائر ، بإضافة إلى بعض السلاسل الجبلية كسلسلة بشار و العبادلة و البالغ ارتفاعها حوالي 1500م[6] .

---

[1] الرق : مصطلح عربي هو ناتج عن ركود الرياح في منطقة قاحلة أو شبه قاحلة ، أو سهل صخري يغطيه الحصى أو أحواض منخفضة ملأتها السيول الجارفة بالرواسب الصخرية ، وهي صالحة للحركة ، حيث تشكل مسارات العديد من الطرق الصحراوية . ينظر : محمد الهادي المرجع السابق ص 14.

[2] م.و.ب.ح.و، و ثورة أول نوفمبر 1954 : المرجع السابق ، ص 23.

[3] ينظر الملحق رقم 1، ص 67.

[4] إبراهيم المياسي : المرجع السابق ص 20

[5] أحميدة عميراوي ،ساليم زاوية ، محمد السعيد قاصري : المرجع السابق ، ص 11.

[6] م.و.ب.ح.و، و ثورة أول نوفمبر 1954 : أنظر أحميدة عميراوي :المرجع السابق ، ص 22.

ب_ **المناخ** :

الحرارة

كان للموقع الجغرافي انعكاس مباشر على مناخ الصحراء ، حيث يسودها مناخ قاري قاسي فالفوارق الحرارية اليومية للأقاليم الشمالية تزداد كلما اتجهنا من الشمال إلى الجنوب و تبلغ أقصاها في الصحراء التي تشتد فيها الحرارة ابتداء من طلوع الشمس و تصل في وسط النهار الصيفي إلى 50°مئوية في الظل ، وقد تصل بمدينة أدرار أو عين صالح إلى 45° وبعد الغروب يحل محل الحرارة القيض البرد الزمهرير ، كما تنخفض في الشتاء إلى درجة الصفر في ليالي الشتاء حتى تتجمد المياه ، وتتراوح الفوارق الحرارية اليومية بين 11°و18°في الصيف وقد سجلت مراصيد ورقلة 17°من الفوارق اليومية و كذلك الفوارق الحرارية اليومية وكذلك الفواق الحرارية الشهرية مرتفعة ففي عين صالح يبلغ المتوسط الحراري لشهر ينار 12.2°، وشهر أغسطس 32°وفي توقرت 10°و 43.7°لشهر أغسطس وبذلك تكون الفوارق الحرارية الشهرية بمدينة عين صالح 19.8° ولمدينة توقورت 24°[1]بهذا يكون المدى الحراري السنوي كبيرا جدا .

الرياح :تهب على الصحراء رياح مختلفة في فصول متباينة

الرياح الساخنة الرطبة : تهب في كل فصول السنة على ارتفاعات مختلفة هي تتراوح بين 6و12كلم في فصل الصيف والصفر و العشر كيلومترات في فصل الشتاء و اتجاهها من [2]الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي فيفصل الشتاء من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي من فصل الصيف ، ورياح ساكنة تتراوح سرعتها بين 1 و3كلم/سا و ساخنة لأنها قادمة من لمنطقة الاستوائية و رطبة كعلوها و تظهر رطوبتها بوضوح عند تلامس سطح الأرض و تحمل هذه الرياح في فصل السحب العالية المتقطعة البيضاء التي تشبه خصال الشعر وفي فصل الشتاء سحب السمحاق الطبقي العالية .

---

[1] عبد السلام بوشارب : المقار امجاد وانجاد ، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار ، رويبة ، الجزائر ،1995، ص39.

[2] عبد القادر حلمي : جغرافية الجزائر طبيعية ، بشرية ، اقتصادية، مطبعة الإنشاء ، ط1 ، الجزائر ، 1968، ص 68.

-الرياح المعتدلة و الرطبة :وهي الرياح التي تهب من خليج غانا على ارتفاعات تتراوح بين 0 و 2000متر في فصل الصيف متجهة نحو الشمال الشرقي في بعض الأحيان و الشمال الغربي أحيانا أخرى و مشبعة ببخار الماء لأنها قادمة من المحيط الأطلسي و هي التي تسبب سقوط الأمطار في فصل الصيف على منطقة الهقار و الهوامش الجنوبية للصحراء .

-الرياح الساخنة الجافة : وهي رياح تهب على ارتفاع 1000متر من الشمال الشرقي في فصل الصيف بالخصوص ، وهي رياح محملة بالأتربة تسبب أضرار كبيرة لمنطقة إفريقيا الغربية و تصل رياح حتى المحيط الأطلسي الذي تتلوث مياهه الساحلية بما تلقيه فيها هذه الرياح من رواسب هوائية أتت بها من الصحراء الكبرى .

-الرياح الباردة الجافة : وهي الرياح الاليزيا و التجارية التي تغزو شمال و شرق الصحراء من شهر أكتوبر إلى شهر ماي وتهب نحو خط الاستواء على علو يتراوح بين 0و1000متر وهي رياح شديدة السرعة .[1]

الأمطار[2]: حددت الصحراء في الشمال وفقا لخط تساوي الأمطار ب100 ملم وفي الجنوب ب150ملم ، وفي الصحراء الشمالية سجل140ملم في بسكرة ، و43ملم في ورقلة ، وفي الشمال الغربي للصحراء سجل 67ملم في بشار ، 15ملم في ادرار وفي الصحراء الوسطى سجل 44ملم في تمنراست ، 20ملم في جانت ، و17ملم في عين صالح و بصفة عامة تعد التساقطات جد ضعيفة في هذه المنطقة كما أنها غير معتدلة .[3] وتعود ظاهرة الجفاف في الصحراء إلى كونها تقع في المنطقة المدارية التي تهب عليها الرياح القادمة من خط الاستواء[4] .

ج-التربة و الغطاء النباتي :

---

[1] عبد القادر حلمي ،نفس ، ص ص 68-69.

[2] أنظر الملحق رقم :2.

[3] م.و.ب.ح.و، المرجع السابق ، ص ص23-24.

[4] داود شريفي : التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري 1844-1912،مذكرة ماجستير ، حسينة حاميد ،قسم العلوم الإنسانية ،كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2015-2016،ص15.

يقصد بالتربة تلك الطبقة الرقيقة المتفتتة من سطح الأرض و التي نجد فيها جذور النباتات و الماء و التربة ترجع في تكوينها إما إلى تربة محلية أي من القاعدة الصخرية و التي ترتكز عليها ذاتها ، أو إلى تربة ترسبت بفعل عوامل مساعدة كالمياه الجارية أو الرياح مثلا ، كما تختلف التربة باختلاف المناطق و تتنوع ألوانها نتيجة ذلك فنجد منها الصفراء و السوداء و الحمراء و غيرها بدون فاصل بين هذه الألوان ، وتربة الصحراء صخرية رملية تحتوي على عدد كبير من العناصر المعدنية كأكسيد الحديد خاصة ، ولكنها فقيرة من حيث تواجد المواد العضوية الأخرى المختلفة من النباتات و الحيوانات ، وهدا العامل بالإضافة إلى الظروف المناخية الغير مساعدة يجعل من لإنتاج الزراعي عميلة صعبة ، ذلك إن النبتات يتأثر بعوامل الجفاف و ندرة الأمطار و شدة الحرارة و لذلك نرى بأن النباتات المعمرة بالصحراء قد كيفت نفسها بوسائلها المختلفة كتعميق الجذور في التربة أو اختزان الماء في أجزائها أو تحرير الأوراق و تغطيتها بطريقة شمعية للمحافظة على رطوبتها [1]

1.الغطاء النباتي :

يمتد الإقليم الصحراوي إلى الجنوب من سلسة الأطلس الصحراوي يحده شمالا إقليم لاستيبس ، أما جنوبا فيتجاوز حدود الصحراء الجزائرية ، و بحكم موقعه بعيدا من الأمطار يكون فقيرا في الحياة النباتية التي تتميز:

أنها سريعة الظهور والاختفاء نتيجة للأمطار التي تصلها من بعيد وهي أمطار فجائية غير منظمة ، تدوم وقتا قصيرا فتؤثر بذلك على النباتات التي تظل بدورها تحت التربة عدة سنوات إلى أن تنزل عليها أقل كمية مطرية فتنمو بشكل غريب و تدوم حياتها أيام معدودة ، ثم تظهر مرة أخرى إذا نزلت الأمطار و عاودتها الرطوبة ، كما أن أغصانها غالبا ما تكون مجردة من الأوراق و جذورها قصيرة و دقيقة ، و كثيرا ما كانت مسلحة بأشواك[2] لتذرا عن نفسها هجومات الحيوانات و تقلل

[1] إسماعيل العربي : المرجع السابق ، ص 21.

[2] جودة حسنين جودة : العالم العربي دراسة في الجغرافية الإقليمية ، الإنسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 1998، ص 113 .

عملية التبخر في هذا الإقليم الذي تشد فيه الحرارة و عملة التبخر .[1]من أهم نباتاتها[2] نجد الحلفاء ،البشنة ، العضيد والسعد الحار ، الخبيز ، القريطفة ، الطازية ، الازول ، الشيح ، الحرمل ،الرثم[3]، الفطر ، الحنظل ...[4]

2_ الأودية و الموارد المائية :

تنبع الأودية الصحراوية منجبال الأطلس الصحراوي و تصب أحيانا في الشطوط و أحيانا تختفي في وسط الرمال ، ومنها ما يتبقى في باطن الأرض إلى أن يتم الحفر عنها ليتجسد في شكل آبار لتستغل من طرف السكان[5] ، و ليس لها جوانب مضبوطة و لا حدود معينة فهي عديمة الانتظام و فجائية الفيضان .

وتنقسم الأودية الصحراوية حسب مناطق منابعها إلى أودية السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي ، وأودية الهقار ، فأما الأولى فتسير على طول السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصحراوي و تغوص مياهها في الرمال لتظهر مرة أخرى في شكل عيون فيضية أو آبار ارتوازية قامت عليها واحات النخيل في إقليم مزاب في الهوامش الشمالية ومن أهم هذه الأودية وادي جدي[6] ، وادي الطويل ، وادي العرب و وادي الأبيض وكلهم يصبون في منخفض ملغيغ وهو شط واسع الأرجاء تحيط به الكثبان الرملية و تظهر على حوافه النباتات الصحراوية المتنوعة، وتغمره المياه في فصل الشتاء ، بالإضافة إلى ذلك نجد أودية الجهة الجنوبية الغربية مثل وادي زرقون ، وادي سوقر ، وادي الناموس و وادي الساورة ، أما الأودية المنحدرة من جبال الهقار فتظهر في شكل شبكة منحدرة في عدة اتجاهات أهما وادي تافاساست .

---

[1] إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 22.

[2] أنظر الملحق رقم :3.

[3] الملحق رقم :4.

[4] يوسف حليس:الموسوعة النباتية لمنطقة سوف (النباتات الصحراوية الشائعة في منطقة العرق الشرقي الكبير) ، مراجعة و تقديم الدكتور السنوسي محمد مراد ، مطبعة الوليد التابعة لمجمع الورود ، الوادي ، 2007، ص ص 64-243.

[5] أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص 22.

[6] نفسه، ص2.

تتوفر الصحراء على موارد مائية معتبرة لا سيما في الجزء الأكبر من باطنها والأكثر أهمية هي الاحتياطات المائية الكامنة في الأحواض الثنائية والثلاثية الشاسعة والممتدة بين الكتل الجبلية.[1]

ومن بينها الحوض الترسيي للصحراء المنخفضة في الركن الشمالي الشرقي الذي يختزن كميات هائلة من المياه قدرت بحوالي 60000ملم^3 ، ويتألف من مسطحين مركبين الأول ارتوازي سطحي متجدد يعرف بالقاري النهائي "continental terminal"و المتمركز في وادي ريغ ، و يتغذى من السيول الصحراوية الممتدة على طول الحواف الصخرية المحيطة بالعرق الشرقي .[2]

أما الثاني فهو القاري المتداخل " continental intercalaireوالمتواجد في أعماق سحيقة تتراوح مابين 800-1500متر ويتزود من السيول الحاصلة على الأطلس الصحراوي و الهضاب العليا .

ثانيا:أهم الأقاليم و الإمارت الصحراوية

رغم اتساع وعزلة الصحراء الجزائرية، إلا أنها مهيكلة بشبكة معتبرة من المدن والمراكز و الواحات سنحاول أن نرسم أو نوضح الملامح العامة و الجوهرية للإطار المكاني (الطبيعي) و الزماني (التاريخي) للمنطقة بأقاليمها الأربعة: الزاب،وسف، وادي ريغ ،ورجلان ، تقرت ، توات.

أولا –إقليم الزاب، سوف

1. إقليم الزاب:

الزيبان جمع مفرده زاب و يعتقد البعض أن الزاب يعني بالأمازيغية الواحة بينما يظن البعض أن أصل التسمية جاءت من اسم منطقة في العرق و تكثر فيها الواحات [3]، وقد عرف ابن خلدون الزيبان

---

[1] إبراهيم المياسي ، المرجع السابق ، ص 20 .

[2] نفسه ، ص 23 .

[3]جاء في معجم البلدان "أن زاب ملك من قدماء ملوك الفرس وهو زاب بن توركان بن منو شهر ابن ايرج بن افريدون ، حفر عدة أنهار بالعرق فسميت باسمه ، وربما قيل لكل واحد زابي و التثنية زابيان ، ...الزاب الكبير منه بسكرة و توزر و قسنطينة و طولقة و قفصة و نفطةوبادس ...": الحموي ، معجم البلدان ، ج3 ، تح: فريد عبد العزيز الجدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1995، ص 124.

بأنها " وطن كبير يشمل قرى متعددة و متجاورة جمعا جمعا أولاها زاب الدوسن ثم زاب مليلي ثم زاب بسكرة وزاب تهودة و زاب بادس ...وبسكرة أم هذه القرى كلها "[1]. و الزيبان هي المنطقة التي تمتد جنوب كتلة أوراس نمامشة حتى شط ملغيغ .وتقعمابين خطي عرض 34° 38°و 35° 5°شمالا و خطي الطول 4° 56°و 5°35°شرقا [2].و تتكون من مجموعة من الواحات و التجمعات السكنية التي أصبحت حاليا مرتبطة بمدينة بسكرة بصفتها مقر الولاية .وهي تتشكل من وحدتين أساسيتين الزاب الغربي و الزاب الشرقي .يقع الزاب الغربي من الناحية الغربية لبسكرة و يشمل إداريا طولقة ، لغروس ، برج بن عزوز ، ليشانة ، بوشقرون ، فوغالة و الحاجب التي تشكل القسم الشمالي منه ، وتشكل بلديات أوماش ، مليلي ، أورلال ، مخادمة وليوة قسمه الجنوبي . أما الزاب الشرقي الذي يحتل الناحية الشرقية من بسكرة و يمتد حتى شمال الوادي فيشمل بلديات : سيدي عقبة ، الشتمة ، قرتة، سريانة وغيرها .

2.سوف:

أصل التسمية :يعتقد أن أول ذكر المنطقة بهذا الاسم كاملا "وادي سوف " هو الحاج الأغواطي[3] في حدود 1829م ، وانتشر على يد الفرنسيين بعد الاحتلال ، بينما ذكرت "سوف " فقط في عدة مؤلفات أقدمها "طبقات المشايخ " للدرجيني الإباضي (670هـ)، وذكرت بالألف "أسوف " في

---

[1]ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مج 6، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 4 ، بيروت ، لبنان ، 1421هـ-2000م ،ص 585.

[2]Alkama (Dj) et Tacherift (AM),Essai d'analyse typo-morpholgique des noyaux urbains trditionnels dans la region des Zibans , Courrier du Savoir n°01, Univ . Biskra 2001, pp.81-88.

[3]هو الرحالة الحاج ابن الدين الأغواطي ، وقد قام برحلته في الثلاثينات من القرن 18ميلادي استجابة لطلب من ويليام هودسون مساعد القنصل الأمريكي في الجزائر ويليام شارل ووصف فيها مناطق من الشمال الإفريقي و السودان و الحجاز ، نشرت بالإنكليزية سنة 1830،وقد أعادها إلى العربية الدكتور أبو القاسم سعد الله .

مصادر أقدم كتاريخ أبي زكريا يحي بن أبي بكر (471هـ)[1]. وقد اختلف الباحثون في أصل تسمية سوف ، وجاءت عدة أراء حول أصل التسمية أغلبها يرجعها إلى كلمة أما

زيغية "سوف " التي تعني الوادي أو النهر ، حيث يعتقد البعض بوجود وادي كان يجري قديما في شمال شرق سوف ، وهو ما ذكره هيرودوت بوجود نهر سماه "تيرتون " في المنطقة .كما يربط بعض الباحثين بين "سوف "وقبيلة مسوفة البربرية التي ينتسب إليها التوارق الملثمون ، وتوجد الآن بعض المواقع القريبة من بلاد التوارق تحمل اسم سوف أو أسوف .كما يعتقد البعض أن التسمية جاءت من كلمة "السيوف " جمع سيف ، و أطلقت على الكثبان الرملية ذات القمم الحادة الشبيهة بالسيف .وقيل نسبة إلى "الصوف " لأن أهلها منذ القديم كانوا يلبسون الصوف [2].

يقع إقليم وادي سوف جنوب شرق الجزائر ، تحده من الشمال منطقة الزيبان و يمتد حتى جبال الأوراس و النمامشة ، ويحده من الشرق الحدود التونسية من نفطة و نفزاوة ، و منطقة نقرين . ومن الجنوب الحدود الليبية عبر واحات غدامس ، أما من الغرب فوادي ريغ و ورقلة [3]. وتمتد أراضي سوف من الجنوب إلى الشمال بين خطي عرض 31°-34°شمالا وبين خطي طول 6°و8°شرقا وتبلغ مساحتها 82.800كلم^2،والإقليم محاط طبيعيا بثلاثة شطوط وهي شط وادي ريغ بلغرب ، وشطوط مروانة و ملغيغ و شط الغرسة من الشمال ، و شط الجريد من الجهة الشرقية [4]. وينضوي الإقليم إداريا تحت ولاية الوادي التي تقع في الجنوب الشرقي من الوطن ، تحدها من الشمال ولايات تبسه و خنشلة و بسكرة ، ومن الشرق الجمهورية التونسية ، و جنوبا ولاية ورقلة و غربا ولايات بسكرة والجلفة و ورقلة.

---

[1]غنابزية علي : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ/17م،رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر 2001، غ.م ، ص 65.

[2]للمزيد حول التسميات يمكن العودة إلى : العوامر إبراهيم : الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1975، ص ص37-39. وكذلك :غنابزية علي ،المرجع السابق ، ص 6 وما بعدها .

[3]العوامر إبراهيم المرجع السابق ، ص 37.

[4]Voisin (A.R), Le Souf , Monographie, EL Walid , EL-Oued 2004, p.15.

ب-إمارة وارجلان ،وإقليم وادي ريغ، تقرت:

1.إمارت ورجلان:

أصل تسمية :توجد عد أسماء لها نجد واركلا، وارقلان ، وتلفظ ورقرن باللهجة الورقلية المحلية، وترجع هذه التسمية إلى القبيلة التي سكنت المكان حسب ابن خلدون الذي يقول " بنو واركلا هؤلاء أحد بطون زناتة ...من ولد فرني بن جانا ... كانت فئتهم قليلة و كانت مواطنهم قبيلة الزاب ، اختطوا المصر المعروف بهم "[1]. ويري "اليتيلو "أن أصل اللفظ أمازيغي وهو " وارايكلان"ويتألف من جزأين "وار " يعني أبناء وهو ما نجده في وارانشريسمثلا ، و "إيكلان " وهو جمع مفرده آكلي وهو الأسود أو الزنجي . وعليه يصبح المعني الكلي أبناء الزنج[2]

تحتل وارجلان موقعا جغرافيا استراتجيا هاما كونها تقع على مشارف الصحراء الكبرى ، في منطقة الجنوب الشرقي للجزائر الذي يعتبر جزء من المنخفض الصحراوي الكبير البالغ طوله 30كلم ، و المرتفع عن سطح البحر مابين 103و 150م[3]، يحدها من الشمال الشرقي كل من واد سوف بسكرة ، ومن الجنوب الغربي تمنراست و إيليزي،[4]ومن الشمال الغربي الجلفة و غرداية [5]و تفصلها عن العاصمة الجزائر مسافة 800كلم.[6]

---

[1]ابن خلدون ، المصدر السابق ، مج 7،ص 107.

[2] أحمد ذكار : حاضرة وارجلان و علاقاتها التجارية بالسودان الغربي من سنة 1000هـ إلى 1301هـ /1591م إلى 1883م ،محمد حوتية ، شهادة الماجستير، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية –أدرار ، الجزائر ، 1430-1431هـ/2009-2010م ، ص 5.

[3]عبد الله بن جيلالي السائح : صفحات من تاريخ ورقلة مند أقدم العصور حتى الاحتلال الفرنسي ، الآمال للطباعة ، الجزائر ،ط1، 2010، ص 14.

[4]عبد القادر موهوبي : ومضات تاريخية و اجتماعية لمدن وادي ريغ و وادي ميزاب و ورقلة والطيبات و العلية و الحجيرة ، دارالباصائر ، الجزائر ، 2011، ص 151.

[5]عبد الحميد نجاح : منطقة ورقلة و تقرت و ضواحيها من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال، دار الآمال للطباعة، الجزائر، ص 9.

[6]Madeleine RovilloisBrgole : Lepays de Ouargla (Sahara Algerien),paris ,1975,p p 1,2.

أما بنسبة للموقع الفلكي فهي تقع بين خطي عرض 30.50شمالا ،و 05.17شرقا [1]، وتشرف على مساحة شاسعة تقدر ب : 163.233كلم^2، جعلت منها منطقة إستراتيجية هامة تستقطب العديد من العناصر القادمة من الشمال أو الجنوب الدوام ، و هو ماكان له تأثير إيجابي على وضعها الاجتماعي و الاقتصادي .

2. إقليم وادي ريغ :

تعتبر تسمية "واد ريغ " تسمية حديثة، فجميع من تحدث عنه من المؤرخين يقتصرون على تسمية "ريغ أو أرض ريغ " ويسميه ابن خلدون "ريغة أو بلاد ريغة[2]. وتأتي هذه التسمية على الأرجح من قبيلة ريغة البربرية .ويرى صاحب معجم البلدان أن "ريغ كلمة بربرية معناها السبخة فمن كان منها يقال له الريغي

جغرافيا ، وادي ريغ عبارة عن منخفض مستطيل الشكل ، يبتدئ من بلدية "أم الطيور " التابعة لولاية الوادي عند شط ملغيغ شمالا ، ويمتد جنوبا إلى غاية "قوق " التابعة لبلدية عمر، على طول حوالي160كلم وعرض يتراوح بين 30و 40كلم، بمساحة تقدر بحوالي 6400كلم^2،[3] ومحصور بين خطي طول 57° 5°و37° 06°شرقا ودائرتي عرض32° 58° و33° 02° شمالا[4]،وعاصمته مدينة تقرت.يضم وادي ريغ عدة واحات ومدن أمهما من الشمال إلى الجنوب : أم الطيور،انسيغة، المغير،سيدي خليل، تندلة ،المرارة ، تقددين، سيدي عمران، تبسبست، تماسين...

3.تقرت:

تقع في الناحية من أرض الجنوب وموقعها جنوب مقاطعة قسنطينة تشمل عدة واحات بديعة ، تستمر إلى وادي اريغ و وادي سوف ، و وادي ايغرغار ، وتقرت هي أجمل هذه الواحات ، كما

---

[1] التواتي بومهلة : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار المعرفة للنشر ، الجزائر ، 2012، ص 299.

[2] ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 592.

[3] يمينة بن صغير حضري : سياسية التوغل الاستعماري الفرنسي بمنطقة وادي ريغ ،مجلة الواحات للبحوث و الدراسات، المج07،العدد 02،معهد العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة غرادية ، موسم 2014، ص 458.

[4] محمد عمر العدواني : تاريخ العدواني ، تحقيق : أبو قاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2005م، ص 138.

تعتبر المركز الرئيسي لواحات جنوب شرق الجزائر ،كانت مقر للإباضية قبل أن تستقر بها أسرة بني جلاب المرنية خلال القرن 9هـ/15م و تنشأ بها إمارة لم تلبث أن اتسعت على حساب الإمارات المجاورة ، وغدت المنطقة خلال القرنيين 15-16 مركزا تجاريا و دينيا و ثقافيا مهما ، جلب عدد من المتصوفة ومن رجال العلم و اكتسبت أهميتها الثقافية و التجارية من موقعها على الطريق التي كانت تعبرها قوافل التجارة و الحجاج المغاربة .[1]

ج- توات :

موقع إقليم توات :تحتل منطقة توات موقعا جغرافيا استراتجيا مابين شمال الصحراء و الساحل الإفريقي المسمى من قبل الجغرافيين و الرحالة العرب بلاد السودان ، إذ يحدها شمالا واد الساورة و الذي يربطها بحوض المغرب الكبير ، و جنوبا رق تنزروفت المنبسط نحو أصقاع بلاد السودان و شرقا واد امقين (امكيدن). مركز استقطاب القبائل الوافدة نحو الصحراء و غربا عرق شاش[2].

ويقع إقليم توات بين خطي الطول 1°شرقا و4°غربا ، وبين دائرتي العرض 26°و 30°شمالا[3]، مما يعني اشتماله على خط الطول الرئيس "غرينتش "و امتداده شمال العروض المدارية الحارة و هو تحديد واسع ينتج تقسيم الإقليم إلى ثلاثة جهات محلية متباينة جغرافيا و متمايزة ديمغرافيا ، ارتبط اسمها غالبا باسم "توات " الشامل ، وهي قورارة في الشمال و تيدكللت إلى الجنوب الشرقي و توات الوسطى أو توات في الوسط [4]، وينقسم إقليم توات إلى ثلاث جهات في شكل هلال –

---

[1] زهراء النظام :العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية –ثقافية خلال القرن 10هـ/16م ،منشورات دار الأمان ، الرباط ، ط1 ، 1436هـ-2015م، ص 394.

[2] محمد باي بلعالم :الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و الآثار و المخطوطات و العادات وما يربط توات من الجهات ، دار هومة ، ج 01 ، الجزائر، 1761-2005 ، ص 09 .

[3] محمد حوتية : توات و الأزواد خلال القرنيين 12و13هـ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية ، ج 01، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007، ص 28 .

[4] جعفر بن أحمد الناصري : المحيط بالمهم من أخبار صحراء المغرب و شنقيط ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط 1، 2015، ج 02، ص ص 527- 529.

من الشمال إلى الجنوب – على النحو التالي جهة تيكورارين[1] ،تعرف تاريخيا باسمي تينجورارين و القورارة ، لكن الاسم الحديث الغالب عليها هو القورارة ، حدد ابن خلدون (ت808هـ/1406م) موقعها على مسافة عشر مراحل من تلمسان ، في بسيط واد منحدر من المغرب إلى المشرق ، واصفا إياها بأنها " منطقة غاصة بالسكان ، مستبحرة في العمران ، قصورها كثيرة تقارب المائة ، تسمى تيكورارين"[2]. أما عن الحسن الوزان (ت957هـ/1550م) -المعروف بليون الإفريقي – فقد أشار إلى موقعها شرق تسابيت بنحو 120ميلا ، وأنها "منطقة مأهولة بالسكان بين حدائق النخيل ، ذات أرض كثيرة صالحة للزراعة إذا ما تم تسميدها بالسماد ، مشتملة على ما يقرب من خمسين قصرا و أكثر من مائة قرية"[3].

تنتشر أعداد كبيرة من القصور بين تابلكوزة في الشمال و المطارفة في الجنوب، يمكن ترتيبهت في مناطق رئيسية كما يلي : منطقة تينركوك، منطقة أولادسعيد، منطقة تيميمون، منطقة شروين ،منطقة طلمين، منطقة أوقروت، منطقة المطارفة، جهة توات الوسطى هي قاعدة أضلاع مثلث توات الكبرى، و مصدر التسمية الجامعة، لذا تسمى توات الأصلية تبدأ من أعالي قصور تسابيت عريان الراس.شمالا إلى غاية انتهنت(رقان)جنوبا[4].وهي الأخرى تشتمل على مجموعة من المناطق أهمها:منطقة تسابيت، منطقة بودة، منطقة تيمي[5]، منطقة تمنطيط ،منطقة الفنوغيل، منطقة زاوية كنتة ، منطقة آنزجمير، منطقة سالي، منطقة رقان،جهة تيديكلت هي مصطلح بربري يعني راحة اليد

---

[1]تيكورارين : كلمة أمازيغية تعني المعسكرات أو المخيمات .ينظر ثياقة الصديق ، نمط العمارة القصورية و مراحل الاستطان البشري بإقليم توات ، أعمال الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار و تيارت : العلاقات الحضارية بين إقيلم توات و حواضر المغرب الإسلامي ، جامعة أدرار : 14أبريل 2009 م، ص 109 .

[2]عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون : كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق : خليل شحادة ، مراجعت :سهيل زكار ، بيروت ، دار الفكر ، 2001م، ج 07، ص 77 .

[3] الحسن بن محمد الوزان : وصف إفريقيا ، ترجمة : محمد حجي و محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي، ط02 ، ج02، بيروت -لبنان، 1983، ص 134.

[4] محمد باي بلعالم ، المرجع السابق ، ج1، ص 9 .

[5] لازال العوام يسقطون اسم تميمي على حاضرة أدرار الحالية ، معتبرين تيمي الدينية القديمة و أدرار المدينة الجديدة .

(الكف)، تقع المنطقة جهة الشرق من توات الوسطى باتجاه الهقار" الطوارق "، تنتشر بها واحات النخيل، وحوالي 50قصرا إلى شرقية عاصمتها" عين صالح "وغربية عاصمتها "أولف "[1] .ربطت هذه المنطقة لقرون عديدة بين مقاطعتين تنتميان حاليا لولايتين مختلفتين هما أولف بالنسبة لأدرار ، وعين صالح بالنسبة لتمنراست ، ولعل تميزها عن المنطقتين الأخريين جعل الاسم المرادف لها هو " بلاد تدكلت "على غرار "البلاد التواتية " ،أما مناطقها فتبدو أقل من مناطق نظيرتيها نذكر أهمها : منطقة أولف ، منطقة تمقطن ،منطقة تيط ، منطقة أقبلي ، منطقة اينغر ،منطقة عين صالح [2].

-المبحث الثاني : تعمير الصحراء الجزائرية

حسب العديد من الدراسات يمكن الاتفاق على أن تاريخ الصحراء يبدو بسيطا غير أن الواقع يصور عكس ذلك فالدراسة المعمقة و الواسعة تظهر مدى تناغم الصحراء بمجموعة من العوامل المؤثرة من الشمال بدأ بالقرطاجيون ثم الرومان مرورا بالعرب و أخير الفرنسيون ، من الجنوب سكان النيجر ، من الشرق ليبيون و مصريون ، من الوسط برابرة الهقار ، ومن الغرب المغاربة ،أما عن سكان الصحراء الجزائرية فقد استقرت بها مجموعتان هما العرب و البربر حيث تعتبر الأولى متجانسة أما الثانية فتنقسم بدورها إلى عدة عناصر يمكن تصنيف مجموعتين أساسيتين بالنسبة للبربر : الأولى رضخت للسيطرة العربية، عاشت و تعيش على زراعة الواحات لحسابها الخاص و لحساب أصحابها .

المجموعة الثانية وهي الطوارق ميزتها الجرأة و حب الحرب و القتال تمركزت بمناطق في الغالب يصعب الوصول إليها .

أولا: البربر (السكان الأصليين)

---

[1] الصديق ثياقة ، المرجع السابق ، ص 157 .

[2] يرى الشيخ مدم دباي بلعالم (1430هـ/2009م) أن اسم عين صالح مرتبط باسم ثالح باي (ت1206هـ/1792م) حاكم قسنطينة في العهد العثماني ، ولعل في هذا الانتساب نظرا ، حيث ورد ذكر عين صالح في عديد المصادر المحلية المخطوطة السابقة لعصر صالح باي بسنين .ينظر : محمد باي بلعالم ، المرجع السابق ، ج02،ص 41.كذلك عبد الرحمن بن عمر التنلاني ، الرحلة الحجية ، ص 3 .كذلك عبد الرحمن الجنتوري : نوازل الجنتوري ، مخطوط بخزانة قصر باعبد الله ، تيمي ، أدرار ، ص 74 .

.البربر[1]:

أصل البربر الذين استوطنوا الجزائر حسب المؤرخ اليوناني القديم هيرودوت هم قبائل الجيتول[2]Gètule الذين ساهم العرب فيما بعد جدالة و غزوالة و جدولة و فزولة[3].

ويفصل مارمول هذا بقوله :" و أصل البربرة الذين استوطنوا نوميديا(التسمية القديمة للصحراء) كانوا خمس جاليات أو قبائل من السبئيين جاؤوا مالك الإفريقي ملك اليمن ومازالوا يحملون أسماءهم ويسمون صنهاجة و مصمودة و زناته و غمارة و هوارة ، ومنهم خرجت ستمائة سلالة من البربر و إليهم يرجع أكبر أهل إفريقيا كلها .[4]ونزحت هذه القبائل البربرية من الشمال إلى الجنوب في اتجاه الصحراء نتيجة لتعسف المحتل الروماني و البيزنطي و إرهاق الأهالي بالضرائب ، إضافة إلى اضطراب الأمن العام .[5] وينقل لنا محمد بن عبد الكريم التمنطيطي إجماع المئرخين على أن أول ساكنة توات

---

[1]البربر : اسم يعتبر أقدم اسم في مدلول شامل يظهر منذ بدء عصر التاريخ ، ويشمل هذا الاسم سائر شمال إفريقيا وبلاد المغرب سواء كانوا من أهل الدواخيل من سكان الصحراء ، أو من أهل التلول والجبال و السهول من ذوي البشرة البيضاء أو الزنجية ، وقد يكون إطلاق كلمة بربر على سكان ما يفيد نسبهم إلى أحد أجدادهم القدامى ، لأن بعض المؤرخين المسلمين ذكروا أنهم من ولد بربر تسليم أو بربر بن مازيغ أو بربر بن تاملا ...، وتباينت آراء المؤرخين حول ألهم فمنهم من يرجع أصلهم إلى الأصل الهندي الأوروبي أي من الأصل اليافتي اي منسوب إلى يافت بن نوح عليه السلام ، قدموا من الهند عبر القوقاز ثم أوروبا ، ، ومن المؤرخين من يرى أن أصل البربر سامي أولي عن أبناء سام بن نوح عليه السلام ، قدموا من اليمن عبر الحبشة و مصر ، وهذا هو الرأي الراجح عند المؤرخين العرب و كذا الأوروبيين .وهنا رأي ثالث يحاول الجمع بين الرأيين السابقين فيرجح أصلهم إلى الأصل المزدوج المنتسب إلى سلالتين هندية و أوروبية التقت بالمغرب و حجتهم في ذلك التباين في الخصائص البشرية عند البربر في العيون و الشعر و اللهجات و كذا الخلاف القائم بين مصمودة و صنهاجة ، ينظر : موسى لقبال : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، الجزائر ، 1979، ص ص 5-48. وينظر كذلك : عثمان العكاك ، البربر ، منشورات تامغناست ، 1375هـ ، ج 1، ص ص 50-51 .

[2]الجيتول : طلق هذا الاسم على قبائل ذات بشرة بيضاء سكنت الجهة الغربية الليبية كان لها دور حاسم في هذه المناطق الصحراوية خاصة أثناء السيطرة الرومانية على منطقة شمال إفريقيا .ينظر : Nadir Marouf , Leccure de l'espace oasien , Edition sindbad , paris 1980, p23.

[3] عثمان العكاك : منشورات تامنغاست 1375هـ ،ج 2، ص 61.

[4] مارمول كربخال: إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و آخرون ، ج.ت.ت.ن ، مكتبة المعرف ، الرباط ، 1984،ج 1، ص ص 89-90.

[5] إسماعيل العربي :المرجعالسايق ، 194.

من أصول بربر يقول "اتفق المؤرخون على أن أهل القطر التواتي قبل الإسلام عجم لا عربية فيه ".[1]وحجته في ذلك أن أغلب تسميات القصور التواتية جاءت بلغتهم .

وهؤلاء العجم الذين يتحدث عنهم التمنطيطي، هم بربر من قبائل صنهاجة ، أو هم قبائلهم الملثمون وهم كذلك إحدى فروع صنهاجة ، استوطنوا الصحراء قبل الفتح الإسلامي ، وبلادهم مابين المحيط غربا و غدامس .

ثانيا : العرب ،و الأفارقة (السكان الوافدون)

أ-العرب[2]:

تزامنا مع الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب التي قادها الفاتح عقبة ابن نافع الفهري سنة 102هـ-682م، توافد إلى هذه البلاد قبائل عربية عديدة ، وصل بعضها منطقة توات مابين القرنين العاشر و الثاني عشر الميلاديين أهمها قبائل " القدواة" القادمين من مصر[3] كمعبر لهم قادمين من الحجاز ، و يرجح أن فكرة الفقاقير ترجع لهم. [4]

وبحلول القرن 7هـ/13م ،توافدت القبائل الهلالية [5]على المنطقة وتم ذلك بهجرات متعاقبة بدأت تزامنا مع الأحداث التي شهدها المشرق العربي في أعقاب القضاء على الخلافة الفاطمية في مصر على يد صلاح الدين سنة 567هـ/1171م ومحاولات بعث هذه الدولة من جديد في العامين التاليين و

---

[1] محمد بن عبد الكريم المتنطيطي : درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، مخطوط بخزانة الشيخ عبد الله البلبالي ،كوسام ،أدرار ،ص1.

[2]العرب :

[3]Quenard ,reherches historiques dans dans Touat, p p212.

[4]Herbut , les Foggara du Touat , Bullein de la société geographie d'Algérie et de l'Afrique du nord : 4eme trimestre (1934), p 561 .

[5] بنو هلال : هم قبيلة عربية ينتمي نسبها إلى عامن بن صعصعة بن معاوية بن بكر هوزان بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن غيلان بن منضر ، كانوا في شبه الجزيرة العربية ثم انطلقوا إلى مصر .أنظر : عبد الحمد الخالدي : الوجود السلمي الهلالي في الجزائر ، دار هومة ، الجزائر 2003، ص 13.

فشلها .[1] وقد خلفت هذه الأحداث اضطرابات في المشرق العربي إضافة إلى أحداث القرامطة في البحرين ، ودفعت هذه الأوضاع المضطربة القبائل الهلالية إلى النزوح غربا ، و كان المهارزة هم أول القبائل الهلالية التي قدمت إلى منطقة التواتية سنة 1120م من معبر الشمال مرورا بواد اميقدن ، وتوالت بعد هذه السنة كقبيلة أولاد محمد الذين استقروا في قصر دلدول ، و أولاد طلحة ، أ,لاد عياش ، أولاد بوعلي الذين سموا فيما بعد أولاد محمود و الخنافسة الذين استقروا في واد الحجار ، و بمرور الزمن شكلوا قصورا عديدة في المنطقة كقصر تبلكوزة ، تازليزة ، عين حموا ، فاتيس ، أولاد عيش ...،وقد بنيت هذه القصور بمحاذاة واد مسعود الذي لعب دورا كبيرا ، وهو دور المرحلة الانتقالية من القبائل الرحل إلى القبائل المستقرة عربا كانوا أو بربرا .[2] وقد حل بالمنطقة قبائل عربية أخرى كعرب المعقل[3] الذين دخلوا شمال إفريقيا مع الهلاليين في عدد قليل ، يقال أنهم مائتين ، اعترضهم بنو سليم فانحازوا للهلاليين و نزلوا آخر مواطنهم ، جاوروا زناتة و ثاروا حلفاء لها و ملكوا القصور التي بنتها الصحراء ، اختلطوا مع قبائل أخرى ليست منهم ، مثل فزازة و الشظة و المهاية[4].

---

[1] أيمن فؤاد السيد : الدولة الفاطمية في مصر ، تفسير جديد ، ط1، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1992، ص ص 241-242، وقد كانت الهجرات الأولى للهلاليين إلى بلاد المغرب الإسلامي و إفريقيا عامة عام 441هـ/1050م ، حين سمح لهم و أمرهم الخليفة الفاطمي المنتصر بالله بالهجرة من مصر إلى بلاد المغرب وذلك انتقاما من الزيرين الصنهاجيين أمراء القيروان الذين قطعوا الفاطميين و خلعوا طاعتهم ، وقد أضعفت فعلا هجرة أعراب بني هلال سلطة الزيريين إلى أن قضى عليهم نهائيا عبد المؤمن الموحدي عام 555هـ/1165م ينظر : حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1964، ص 32وما بعدها .

[2] Quenard , recherches historiques dans le Touat , p215 .

[3]عرب المعقل : من أصول يمنية حسب ما صححه ابن خلدون ، وهم ثلاثة بطون : ذوي عبد الله ، ذوي منصور ، وذوي حسان ، ويشير الوزان إلى فروعيهم قائلا : أما معقل ففروعها ثلاثة : مختار وعثمان و حسان ، تشتمل مختار و عثمان و حسان على سليم و الأودية والبرابش و الرحامنة ، وأحمر ، ويشمل ذوو منصور على العرامنة ، و المتابهة ، و أولاد عبد الله بدورهم إلى خراج وحدج ، وثعلبة ، وجعوان و تتفرع كل هذه القبائل إلى بطون عديدة . ويفصل مارمول ما أجمله الوزان غن قبائل المعقل فيذكر أماكن استقطابهم وعرب المعقل من العرب اليمنية القحطانية ، نسبة إلى معقل بن الحارث ، كانوا في القرن 8هـ ظن من أوفر قبائل العرب و مواطنهم بالمغربين الأوسط و الأقصى مجاورين لبني عامر بن زغبة بقبلة تلمسان .ينظر : عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 1977 ،ج3 ، ص 1123 .

[4]ابن خلدون عبد الرحمان : كتاب ديوان المبتدأ و الخبر ، المصدر السابق ، ج 6، ص ص 77-78 .

ولم يجد عرب المعقل صعوبة في التأقلم مع حياة الصحراء ، بسبب تشابه ظروف إقامتهم الأولى بالمنطقة التواتية ، وسرعان ما وطدوا نفوذهم مستغلين انشغال القبائل الزناتية بمحاولات استعادة بعث دولتهم في الشمال اثر ضعف الدولة الموحدية سنة 610هـ ، فخلفهم عرب المعقل في قصورهم و أملاكهم ، و هو التحول الذي يصفه ابن خلدون بقوله " فلما ملكت زناتة بلاد المغرب و دخلوا إلى الأمصار و المدن قام هؤلاء المعقل في القفار و تفردوا في البيداء فنمو نموا لا كفاء له ، و ملكوت قصور الصحراء التي اختطتها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا ، ثم توات ، ثم بودة ، ثم تمنطيط ، ثم وركلان ، ثم تسابيت ، ثم تيكورارين شرقا ".[1]

وقد تمكنت قبائل عرب المعاقل من السيطرة على واحات توات و بودة و تمنطيط و تسابيت و تيكورارين وفرضت نفودها كاملا على المنطقة[2]، واقتضوا منهم الضرائب [3].

وإضافة إلى الهلاليين و المعاقيل شهدت المنطقة وفود الأشراف الذين يتصل نسبهم بالحسن و الحسين أبناء علي –كرم الله وجهه –قدموا من الأندلس سنة 721هـ/1301م ، ومن وازان و تافيلالت بالمغرب الأقصى واستقروا في منطقة توات و دلدول[4]، وقد كانوا ينقسمون إلى طائفتين : العلويون[5]و الأدارسة[1]ارتبط بعضهم مع ملوك المغرب وجاء بعضهم فارا إلى توات من النزاعات الداخلية على الملك .

---

[1]ابن خلدون : المصدر السابق، ص 78.

[2]أبو راس الناصري : عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، تحقيق : المهدي البوعبدلي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، (د.ت) ، ج1 ، ص 178.

[3]مبارك الميلي : ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تقديم و تصحيح محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر (د.ت) ، ج2، ص 193.

[4]Bisson (Jean) , le gourara ,p 95.

[5]العلويون :ينتسب العلويون الحاليون إلى جدهم الشريف ، الذي ينحدر من سلالة على بن أبي طالب ، وقدم أجدادهم إلى المغرب من ينبع بالحجاز واستقروا بسجلماسة بتافيلالت ومن هنا تهيؤوا لإقامة دولتهم التي تعتبر الدولة الثانية في المغرب من حيث نسبها الشريف فالأدارسة و السعديون و العلويون كلهم أشراف . ينظر : محمد الأمين محمد ، محمد علي الرحماني ، المفيد في تاريخ المغرب ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص 212.

ب. الأفارقة (الزنوج) :

تواجد الأفارقة بالصحراء منذ أزمنة متقدمة توالى قدومهم و استقدامهم عبر فترات متوالية فالذين قدموا إلى المنطقة بما عرف بالهجرة الاختيارية كان نتيجة تدهور الأوضاع الأمنية و الاقتصادية في السودان الغربي[2] خاصة بعد سقوط مملكة سنغاي[3] ، أما الذين استقدموا فأوتي بهم من مدن عديدة مثل كشنة و كوبر وبورنو و سكوتو وغيرها من بلاد الهوسا.[4]

---

[1] **الأدارسة** : ينتسب الأدارسة إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهو أحد القلائل الذين نجوا من القتل في مأساة موضع باسم (فخ) أوقع العباسيون فيه بجماعة من العلويين من أحفاد الحسن بن علي ، كانوا يدعون لأنفسهم ويطمحون إلى أن يقيموا دولة و كانت هذه المأساة سنة 169هـ / 786م ، في خلافة الهادي العباسي ، وقد فر الناجون من هذه الواقعة إلى أطراف البلاد و كان من الذين فروا : يحي بن عبد الله الذي هرب إلى بلاد الديلم جنوبي قزوين ، و سبب للعسيين متاعب كثيرة ولكنهم قضوا عليه في النهاية ، لكن أسعدهم حظا كان أخاه إدريس بن عبد الله ، الذي أبعد في الهرب حتى وصل إلى المغرب و هناك بايعته قبائل البربر ملكا عليهم وبعد وفاته مسموما بايعت القبائل البربرية ابنه إدريس الأصغر الذي بنى مدينة فاس سنة 192هـ واتخذها عاصمة لدولته و بنى في عهد خلفه يحي بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأول جامعة القروين من طرف فاطمة بنت محمد الفهري ، وسقطت دولة الأدارسة على يد موسى بن أبي العافية شيخ مكناس الذي كان خاضعا للعبيديين الفاطميين أول الأمر ثم خرج من طاعتهم و عمل على تقويض عرش الأدارسة بالقضاء على أمرائهم القائمين بالأمر في بعض نواحي المغرب الأقصى ، ونفي الباقون إلى قلعة في جبال الريف تسمى جحر النسر و بذلك انتهى الدور الأول من تاريخ الأدارسة بعد أن عاشت دولتهم زهاء قرنيين وثلاث سنين .ينظر : يوسف علي بديوي ، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب و المشرق من الميلاد إلى السقوط ، ط1 ،دار الأصالة ، الجزائر ،2010، ص 55- 61 .

[2] **السودان الغربي** : وهو يشمل حوض السنغال الآن و غامبيا وبوركينافوس –فلتا العليا سابقا- و النيجر الأوسط ، وهذه التسمية جاءت قبل الاحتلال الأوربي له وفي عهد أطلق عليه اسم بلاد التكرور ،و كانت من أهم ممالكها التكرور ، و مملكة غانا ، ثم مملكة مالي ، وبعدها مملكة سنغاي ، لكن بعد الاستعمار الأوروبي له قسموها إلى أقسام سياسية و حددها رسميا على حسب أغراضهم و جعلوها دول وهي : مالي ، السنغال ، غامبيا ، موريتانيا ،النيجر...، ينظر داود القادر إيليغا ، الأنظمة التعليمية الوافدة إلى غرب إفريقيا و آثارها على المجتمع ، ملتقى الجامعات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية بالسودان ، جانفي 2006م، ص 02.

[3] مبارك جعفري : العلاقة الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال القرن 12هـ، ط1 ، دار السبيل ، الجزائر 2000، ص ص46-47.

[4] حسن الوزان ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص ص 159 – 179.

وهؤلاء المجلوبين هم أولئك الذين سلبوا من ديارهم مطوقين و وجدوا أنفسهم في سوق النخاسة للبيع[1] ، وكذلك هم من وقعوا في الأسر من سكان ممالك السودان الغربي الذين كانوا يغيرون على بعضهم البعض ويباع الأسرى منهم إلى التجار ، وكانت توات تمول أسواق رقيق بالعبيد و الإماء للاستعانة بهم في أعمال البناء و حفر الآبار و شق الفقاقير و تطويع الصحراء ، وكذا بقصد الخدمة المنزلية لذا أصبحت الحاجة إليهم كبيرة خاصة بعد استقرار العرب بها و تنافسهم في امتلاك أكبر عدد من الرقيق لذا كان يعد مظهرا من مظاهر الثراء[2]، فنتيجة لهذا أصبحت القوافل التجارية تنقل الزنوج بأعداد كبيرة ليعملوا في خدمة الأرض[3]، حيث يحصى لنا ابن بطوطة عدد الزنوج في القافلة التي رافقها هو من تكدا إلى توات عام 754هـ/1353م فيشر إلى أنه كان بها ستمائة خادم زنجي[4].

ثالثا:البرامكة، و اليهود:

أ.البرامكة[5] : هم من الفرس ، تبوؤوا مقاما رفيعا عند العباسيين و تفرقوا في الأمصار اثر نكبتهم الشهيرة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد ، حيث دخلوا توات في القرن السابع هجري سنة

---

[1]شترة خير الدين ، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي : المصطلح الثائر ، دار الطفيل ، الجزائر 2021، ص 55 .

[2]الهادي المبروك الدالي ، التاريخ السياسي و الاقتصادي و الحضاري لمنطقة السودان الغربي من نهاية القرن 15 إلى غاية القرن 18 ميلادي ، أطروحة دكتوراه ، إشراف محمد رزوق ،كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة عين الشق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1997 ،ج 1، ص 332 .

[3]الشيباني ياسين : الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي و دعوته الإصلاحية بتوات و السودان الغربي ، مذكرة ماجستير ، إشراف جهيدة بوجمعة ، قسم الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران 2007/2006 ، ص 102 .

[4]ابن بطوطة : تحفة الناظر في غريب الأمصار و عجائب الأسفار ، دار صادر ، بيروت 2001 ، ص 407 .

[5]**البرامكة** : أسرة فرسية عريقة ذات شأن عظيم ، ينتسبون إلى جدهم "برمك " الذي كان عالما في الطب و التنجيم و متوليا سدالةالنوبهار المقدس عند الفرس ، ببلخ ، وقد حظي الكثير من رجالها بمنزلة رفيعة عند الخلفاء العباسيين فتقلدوا الوزارات و اشتهر اسم خالد بن برمك و ابنه يحي و أبناؤه في العصر العباسي الأول بتبوئهم المراتب العليا في الدولة العباسية ، ولكن على الرغم من وصولهم إلى هده المكانة السامية من النفوذ و السلطة فقد نسب عليهم اتهامات عديدة كالشعوبية و الزندقة و الميل إلى العلويين و الفرس و الغنى و المفرط وغيرها من الاتهامات التي فيها نظر و التي جعلت الخليفة العباسي هارون الرشيد ينقلب عليهم فقتل وشرد الآخرون في الأمصار بما عرف في التاريخ بنكبة البرامكة .ينظر : هولو جودت فرج ، البرامكة سلبياتهم و إيجابياتهم ، ط 1 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1990، ص ص 17-48 .

56هـ/ 1258م[1]، و استقروا بأعداد كبيرة و بنوا القصور و مارسوا الزراعة ، حيث ينسب إليهم نظام الري في المنطقة التواتية المعروف بالفقارة[2]، ومن بين القصور التي استقروا بها " بوعلي " الذي نزل به الشيخ المغيلي بعد أن ناصره البرامكة في حروبه ضد اليهود و رحيلة من تمنطيط[3]، وكذا قصور سالي و قصور أولف بتيدكلت و توجد هذه الكنية البرمكية إلى الآن .

ب .اليهود[4] :

أدى الشتات الذي لحق بالطائفة اليهودية إلى اتخاذ الجزائر ملاذا آمنا ، إذ تعتبر الجزائر نموذجا حيا لتعايشه جماعات يهودية مختلفة ، وقد استمر توافدهم إلى المنطقة ، لكن بصفة غير منتظمة و اتخذوا من المراكز التجارية و المنطقة الصحراوية مستقرا لهم ، وعلى هدا الأساس سوف أعطي صورة عن تواجد العنصر اليهودي بالصحراء الجزائرية من بداية تواجدهم إلى فترة المطاردات المسيحية الإسبانية لليهود .

استوطن اليهود المنطقة التواتية منذ أزمنة متقدمة تباينت آراء المؤرخين في تحديدها ، حيث يذكر أوليلOleilالباحث الذي اهتم بتاريخ يهود توات ، أن فئة منهم هاجرت من مدينة سيرينابيك[5] إلى توات في القرن الثاني الميلادي ، نتيجة الصراع مع الإمبراطور الروماني "تراجان " واستقر كثير منهم

---

[1] محمد بن عبد الكريم التمنطيطي ، المصدر السابق ، ص 07 .

[2]عليق ريحة : قصر ملوكة (دراسة تاريخية أثرية) ، مذكرة ماجستير ، قسم الآثار ،كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الجزائر ، 2002-2003 ، ص 11 .

[3]بوسعيد أحمد : الحياة الاجتماعية و الثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م ، مذكرة ماجستير قسم التاريخ ، جامعة أدرار ،2013/2012 ، ص81.

[4]**اليهود** : من المواد و المودة و اللين ، وما يرجى بعد الصلاح أو التهود ، وهو التوبة و الرجوع ، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن الإسرائيليين سمو يهودة حين تابوا عن عبادة العجل **لقوله تعالى (إنا هدنا إليك)**-الأعراف :156-. وفسرها البعض الآخر بتهود القوم ، أي تحريكهم عند قراءة التوراة . ولكن أغلب الباحثين يرجعون "اليهود" نسبة إلى يهوذا رابع أبناء يعقوب عليه السلام أو إلى مملكة يهوذا . ينظر ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، مر . أنس محمد الشامي و محمد سعيد محمد ، ج1 ،دار البيان العربي ، القاهرة، 2006م ، ص 148 ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، تص ، أحمد فهمي محمد ، ج2، دار الكتب العلمية ، ط2، بيروت ، لبنان ،1992 ، ص ص 230-231 .

[5]**سيرينابيك** : مدينة إغريقيا في ليبيا .

في قصور توات و تمنطيط ، وفي القرن السابع الميلادي وفدت إلى المنطقة هجرات يهودية ثانية قادمة من الأندلس[1]، ويذهب برنارد سافرو Bernard Saffroy إلى أبعد من ذلك حيث يشير إلى وصول جماعات يهودية إلى بلاد المغرب سنة ق.م ومن منها إلى الصحراء سنة 5م و أسست قصورا في توات مثل قصر تاخفيفت ، ثم تليها جماعة أخرى من برقة سنة 130م[2].

ويقتصر البعض على أن قدوم اليهود للمنطقة كان من الأندلس عقب أحداث اشبيلية و الباليار سنة 793هـ/1391م ، وكذا عقب سقوط الأندلس سنة 897هـ/1492م[3]. ومهما يكن من تباين الآراء حول المكان الذي قدموا منه أو الزمن الذي جاؤوا فيه ، فإنهم شكلوا شريحة من المجتمع الصحراوي رغم عدم اندماجهم الطبيعي في المجتمع هناك في الفئات التواتية .

ونتيجة للموقع الاستراتيجي لتوات المتمثل في وقوعها في مفترق طرق القوافل التجارية القادمة من الشمال و الجنوب و استقرار المنطقة بسبب التعايش بين الشرائح الاجتماعية و كذا بعدها عن مواقع الصراعات الطائفية و مواقع اتخاذ القرارات حيث الممالك و الدول الشمالية ، كل هذا ساعد اليهود على الاستيطان في توات و ممارسة نشاطهم التجاري و الحرفي ، فازداد بذلك عددهم و انتشروا في كل قطر التواتي ، حيث يذكر أوليلJ.Oleilعدد المناطق التي سكنها اليهود قبل مجيء الإمام المغيلي إليها حوالي ثلاثين قرية ، تبدأ من تبلكوزة شمالا إلى تاوريت جنوبا[4]، ويشير ابن بابا حيدة إلى أن تمنطيط وحدها كان بها ثلاثمائة و ثلاث وستون صائغا يهوديا يتاجرون في الدهب و الفضة [5]،فقد كانوا هم المسيطرون على أسواق تمنطيط فتميزوا بثرائهم الكبير وسط المجتمع التواتي البسيط الذي عانى من احتكارهم للسلع والبضائع و كثير من الحرف ، واستغلال الطبقة المحتاجة لصالحهم مما

---

(1)Jacob Oliel , Les juifs au Sahara , GNRS èdition , paris , 1994 , p 21.

(2)Bernard Saffry , Chronique du Touat , Ghrdaia , C-D-S , p 1.

(3)فوزي سعد الله : يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ،ط1 ، دار الأمة ، الجزائر 2004 ، ص 49.

(4)Jacob Oleil , op , cit , p140 .

(5)ابن بابا حيدة : محمد الطيب بن عبد الرحيم : القول البسيط في أخبار تمنطيط ، مخطوط بخزانة الحاج محمد بكراوي ، زاوية سيدي البكري ، أدرار ، الجزائر ، ص 14 .

جعلهم منبوذين في المجتمع التواتي ، إذ كانوا يحملون في العديد من المرات بقبيلة أولاد علي بن موسى[1]لتمنع عنهم ظلم بعض البربر الذين طلبوا منهم الدخول في الإسلام أو دفع الجزية أو مغادرة المنطقة ، و اعتبرت هذه الهدايا مقابل الجزية [2]، ورغم كل هذا فقد تم إجلاؤهم من توات وهدم بيعهم في تمنطيط سنة 897هـ/1492م ، على يد المصلح الديني الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[3]، ولم تعد فئة اليهود مكونا فاعلا قائما بذاته في المنطقة التواتية منذ بداية العصر الحديث .

إن هذه العناصر البشرية السالفة الذكر شكلت لحمة المجتمع التواتي المتعدد الأعراف و الأجناس ساهم في تنوعه وازدهاره وانفتاحه على باقي الثقافات و المناطق و الشعوب ، و إمداده بروافد ثقافية مختلفة عملت على تغذية الحركة العلمية داخله .

المبحث الثالث :الأوضاع الاقتصادية في الصحراء الجزائرية خلال القرن 16م :

يعد الاقتصاد شريان الحياة بالنسبة لأي نظام سياسي أو كيان اجتماعي و ذلك أنه هو الذي يحدد مدى ثراء المجتمع أو فقره ، ولا شك أن الحياة الاقتصادية تستمد و جودها من إمكانيات اقتصادية تتماشى بها المؤسسات المختلفة في البلاد سواء فيما يتصل بالزراعة أو تجارة أ, الصناعة .وإذا كانت موارد الدولة تتحدد من خلال هذه المجالات فإنها تتأثر إيجابا بالوضعية السياسية و ما يقوم بين الدولة وجيرانها من حروب ، كما تتأثر بالوضع الاجتماعي و خصوصا ما يتصل بالأمن ، و

---

[1]أولاد علي بن موسى : من القبائل العربية كان أول نزولهم بقصور بصلاح بتمنطيط وهم ينتسبون إلى الأدارسة ، فهم من أكابر الناس دلت على ذلك حالتهم وسيرتهم فهم أهل سنة ومروءة ورياسة ،كان أول رؤسائهم الشيخ عمر بن عبد الرحمن و آخرهم الشيخ بحم بن الحاج محمد ، انظر : ابن بابا حيدة ، المصدر السابق ، ص ص 23- 24 .

[2]محمد بن عبد الكريم التمنطيطي : تقييد حول تاريخ توات و تمنطيط ، مخطوط بخزانة أولاد القاضي البكريين، تمنطيط، ورقة 01 .

[3]قصة الشيخ المغيلي مع يهود توات وردت في عدة مصادر و مراجع مفادها أن الشيخ المغيلي لما قدم من تلمسان إلى توات وجد اليهود يسيطرون على عصب الحياة في المنطقة بتحكمهم في التجارة و ثرائهم الفاحش فأتى بأن يدفع اليهود الجزية وهم صاغرون و أن تهدم كنائسهم التي بالغوا في شساعة مساحتها و أن يعاملوا معاملة أهل الذمة عامة و انتهى الأمر بقرار إجلائهم كلية من المنطقة فأجبر الكثير منهم على الفرار بعد انتفاضة الشعب إلى جانب المغيلي ضدهم .أنظر : عبد الله مقلاتي ، موقف الشيخ المغيلي من يهود توات ، مجلة الحقيقة ، عدد 06 ، ماي 2005، ص 154 . أيضا : عبد العزيز فيلالي : تلمسان في العهد الزياني ، الجزائر 2002،ج2 ، ص 412.

كلما كانت الدولة مستقرة أصبح نظامها الاقتصادي أكثر تطورا ورقيا ، و الحال بالنسبة لمناطق الجنوب خلال الفترة الحديث يبدو غير مستقر بصورة متكاملة نظرا للإضرابات الداخلية و التدخلات الخارجية.حيث نجد في المصادر الوصف الكامل لهذه الحالة إذ أن بعد المنطقة و قسوة الطبيعة جعلتا الإنسان يحاول الاعتماد على نفسه في تأمين قوته و حاجياته و تجسد هذا الاعتماد على مختلف الأنشطة الاقتصادية التي مارسها كالزراعة و الصناعة و التجارة .

- **أولا :الزراعة :**

بالرغم من طبيعة مناخ المنطقة الصحراوية الجاف ، إلا أن الزراعة شكلت أهم نشاط اقتصادي زاوله السكان ، فقد استطاعوا تطويع مساحات و حولوها إلى واحات خضراء . فقد تحدى الرمال وطوع الحجارة ، **فإذا هي تشقق فيخرج منها الماء** ، معتمدا في ذلك على المياه الجوفية الوفيرة[1] التي يستخرجها بواسطة آبار منفردة أو سلسلة آبار موصولة ببعضها بطريقة عجيبة تعرف بالفقارة[2] ، وهي نظام للسقي أبدع فيها التواتيون فلا يخلو منه قصر من قصورهم ، وعنه يقول ابن خلدون :"وفي هذه البلاد الصحراوية غريبة في استنباط المياه الجارية ، لا توجد في تلول المغرب ، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى ، وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلبة ...ثم يجري على وجه الأرض واديا".[3]كما أن نظام السقي يضمن لأهلها الحد الأدنى من المعاش ، و يحقق لزراعة الواحات حالة من استقرار الإنتاج ما لم تتعرض المنطقة لجائحة كالأوبئة و الجراد . وتعتبر

---

[1] جراية محد رشيدي : الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100ق.م-1000ق.م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2007-2008، ص 32 .

[2]الفقارة : جمعها فقارات أو فقاقير ، وهي مجموعة من الآبار الموصلة ببعضها البعض ، تبدأ باثنين أو ثلاث من مكان مرتفع ثم تسير في سلسلة من الآبار يتناقص عمقها كلما اتجهنا نحو الحقول أو القصر ، و ينتهي ماؤها جاريا في ساقية على وجه الأرض ، والغالب أن تكون الفقارة ملكا مشتركا بين أهل القصر لاشتراكهم في حفرها ، وقد تكون ملكا خاصا فيقال فقارة فلان أو لنب فلان ، قيل أن أصلها الفجارة من تفجير المياه و الأنهار . ينظر : مولاي محمد بن عمر الجعفري البوداوي : نقل الرواة عن من أبدع قصور توات ، مخطوط بخزانة كوسام أدرار ، ص 14 . وفي لسان العرب ، من الفقر وهي آبار تحفر وينقاد بعضها إلى بعض . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي كبير و آخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، ج 5 ، ص 3446 .

[3] عبد الرحمان ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج07 ، ص 77 .

النخلة مؤنسة الإنسان الصحراوي في بيئته القاحلة ، لذلك حظيت بالعناية الكاملة منه ، فاعتمد عليها بشكل كبير في حياته اليومية ، واستغلها بكل تفاصيلها و أجزائها فاتخذ من التمر غذاءه الأساسي ، و الحطب للتدفئة و الطهي ، و الجذوع لتسقيف البيوت ، و الألياف لصناعة الحبل و السعف لصناعة القفاف و غيرها .وتشير المصادر المحلية إلى وفرة المحاصيل الزراعية خاصة محصولي التمر و القمح و الشعير ، إذ هي التي عني بها الفلاح الصحراوي إلى جانب محاصيل أخرى ثانوية كالبصل و القطاني و الفصة و الخضر و أشجار العنب و التين و الرمان[1].

ثانيا –الصناعة :تميزت الصناعة بطابعها المحلي يعتمد بشكل شبه كلي على الموارد الخامة المحلية سواء مصدرها نباتي أو حيواني أو حتى طبيعي كأنواع الحجارة و الصلصال . فقد استعملت مكونات النخلة بصفة خاصة في كثير من المصنوعات والحرف الصحراوية وهو ما يعكس ما ذكرناه-آنفا-عن اهتمام الإنسان الصحراوي بالنخلة اهتمام ، إذ أحصى البعض مائة و أربعين فائدة للنخلة ،ومن بين هذه الفوائد في مجال الصناعة نجد الأبواب والنوافذ و الحبال ، عقال الدابة و كثير من الأدوات المنزلية و الصناديق الأطباق و الأسرة وغيرها [2]. ولم يقتصر الحال على المصنوعات النباتية بل استخدمت أيضا جلود الحيوانات كالإبل و الماشية في كثير من الصناعات كالقرب لحفظ الماء ة النعال و تغليف الكتب كما استخدم صوف الماشية ووبر الجمال في النسيج .أما عن الموارد الطبيعية كالحجارة فقد استغلها السكان عن طريق النحت و جعلها أشكالا كالرحى لطحن الحبوب وأخرى بشكل مغاير لتكسير النوى و تحضير علف الماشية وأخرى لتحضير التوابل و الأعشاب . كذلك نجد صناعات أخرى أكثر اختصاصا كصناعة الحلي الفضي بشكل كثير و الذهبي بشكل أقل منه ،إضافة

---

[1] محمد بن عبد الرحمان البلبالي : غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا و المسائل ، مخطوط ، خزانة ملوكة ، أدرار ، الجزائر ، ص ص 160-164-382 .

[2] محمد باي بلعالم : الرحلة العلمية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و الآثار و المخطوطات و العادات وما يربط توات من الجهات ، دار هومة ، الجزائر ، ج2 ، ص 76 .

إلى الأدوات الحديدية والنحاسية و الأواني الفخارية و الطينية[1].وقد اختصت بصناعتها فئات محددة كفئة الطوارق التي اشتهرت بامتهان أعمال الحدادة. كثرت هذه الصناعات و انتشرت بصفة خاصة في المدن الكبرى آنذاك كتيميمون و بودة وتمي و تمنطيط ... ويصف ابن بابا حيدة انتشار الحرف في تمنطيط قائلا :"كان بها ثلاثمائة وستون صائغا و عدد كبير من الحدادين و النجارين ".[2]

ثالثا :التجارة :

إن موقع المراكز الصحراوية مثل توات و رجلان وادي ريغ ...، جعلها تجدب كل من يحل بتلك الفيافي فيتخذ منها إما معبرا أو موطنا ، فتنوعت بهم الأجناس و كثر عدد السكان بتلك المناطق ،ومنه يتوفر لمن يمتهنون التجارة سوقا استهلاكية واسعة ومربحة ، فراجت بها التجارة وكثرت فيها الأسواق و ذلك ما شهد به من زار المنطقة من الرحالة ، حيث يذكر الحسن الوزان[3] الذي زار توات سنة 917هـ/1511م ، أنه في توات تجتمع القوافل من البربر مع تجار بلاد السودان و تقام هناك أسواق كبيرة ، وهو المشهد نفسه الذي أشار إليه العياشي[4]فما بعد عندما حل بالمنطقة سنة 1072هـ/1661م، وكذلك الأغواطي[5] حينما زار تيميمون مطلع القرن التاسع عشر ووصف سوقها .

---

[1]Rig (caputaine) , L'artsanatATamentikInstiue de recherche sahariennes ,Alger, 1961 ,p 157 .

[2]ابن بابا حيدة ، المصدر السابق ، ص 14 .

[3] الحسن الوزان ، المصدر السايق ، ج 2 ، ص 133 .

[4] العياشي أبو سالم : ماء الموائد (رحلة العياشي) مخطوط بخزانة المطارفة ، أدرار ، الجزائر ، ص

[5] أبو القاسم سعد الله : مجموع رحلات –الأغواطي الحاج ابن الدين –، المعرفة الدولة للنشر و التوزيع، الجزائر ، 2011، ص 93 .

الفصل الثاني

حدود امتداد السلطة العثمانية في الصحراء الجزائرية خلال القرن 10هـ/16م.

-المبحث الأول: علاقة السلطلة العثمانية بالإمارات الصحراوية

-المبحث الثاني: الحملات العثمانية على الإمارات الصحراوية

الفصل الثاني :حدود امتداد السلطة العثمانية في الصحراء الجزائرية في القرن 10هـ/16م

سيطر العثمانيون[1] على شمال إفريقيا وسواحلها الشمالية وخضعت لها دول المغرب العربي طواعية منذ القرن16م، وذلك بحكم قوة أسطولهم البحري، لكنهم لم يتمكنوا من فرض سلطتهم على المناطق الصحراوية التي بقيت رافضة الخضوع لأي سلطة غير سلطتها القبلية والمحلية العائلية، ومع مرور الوقت أدرك العثمانيون أن التوغل داخل الصحراء و إحكام سيطرتها على قبائلها هو ضمان لأمنها واستقرارها في شمال المغرب العربي، وأمام مناعة تلك الإمارات الصحراوية أصبحت الدولة العثمانية تشعر بنقص في سيادتها على المنطقة ككل، فالإمارات الصحراوية تميزت بالعناد والتمرد ورفض أي شكل من أشكال التبعية، أو حتى دفع ما عليها من ضريبة، رغم أن الدولة العثمانية كانت تمثل الخلافة الإسلامية التي توجب على المسلمين كافة تقديم ولاءٍ لها بحكم الشرع الإسلامي، وعلى هذا الأساس نحاول تسليط الضوء على علاقة السلطة العثمانية مع بعض الإماراة الصحراوية العنيدة ،و أهم الحملات التي وجهتها نحوها.[2]

المبحث الأول : علاقة السلطة العثمانية بالمراكز الصحراوية

إن الوجود العثماني في بلاد المغرب العربي، كان ضرورة تاريخية أملته تطورات الأحداث التي أعقبت نكسة المسلمين في الأندلس، واختلال ميزان القوى بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، فكانت

---

[1] **الدولة العثمانية** : بالتركية العثمانية : دولت علية عثمانية ، بالتركية الحديثة هي إمبراطورية إسلامية أسسها عثمان الأول بن أرطغول ،واستمرت قائمة لما يقرب ب 600سنة ،و بالتحديد منذ حوالي 27يوليو سنة 1299م ، عرفت الدولة العثمانية باسما مختلفة في اللغة العربية ، لعل أبرزها هو "الدولة العلية " وهو اختصار لاسمها الرسمي "الدولة العلية العثمانية " ،كذلك كان يطلق عليها محليا في العديد من الدول العربية و خصوصا بلاد الشام ومصر "الدولة العثمانية " ،اشتقاقا من كلمة عثملى ،التركية التي تعني "عثماني "ومن الأسماء الأخرى التي أضيفت للأسماء العربية نقلا من تلك الأوروبية "الإمبراطورية العثمانية "، كذلك يطلق عليها تسمية "السلطة العثمانية " و "دولة آل عثمان ".

وقد بلغت الدولة العثمانية ذروة مجدها و قوتها خلال القرنيين السادس عشر و السابع عشر ، فامتدت أراضيها لتشمل أنحاء واسعة من قارات العالم القديم الثلاثة :أوربا ،وآسيا ،و إفريقيا ، حيث خضعت لها كامل آسيا الصغرى و أجزاء كبيرة من جنوب وشرق أوروبا ، وغربي آسيا ,شمالي إفريقيا ، وصل عدد الولايات العثمانية إلى 29ولاية ، وكان للدولة سيادة اسمية على عدد من الدول والإمارات المجاورة في أوروبا والتي أضحى بعضها يشكل جزاء فعليا من الدولة مع مرور الزمن ،بينما حصل بعضها نوع من الاستقلال الذاتي .

[2] صالح عباد : الجزائر خلال حكم التركي 1514-1830، دار هومة ، 2012، ص 74.

الدولة العثمانية بمثابة الغطاء الذي لف حول بلاد المغرب لحمايته من الاعتداءات الاسبانية والبرتغالية المتحرشة عليهم بنزعتهم الصليبية. و بالتالي خضعت دول المغرب طواعية للسلطة العثمانية التي كانت تمثل الخلافة الإسلامية العثمانية في ظل تفكك العالم الإسلامي آنذاك. لكن الملاحظ أن السلطة العثمانية أحكمت سيطرتها على السواحل المغاربية بينما بقيت المناطق الداخلية والصحراوية متمنعة عنها وملتفة حول زعاماتها المحلية والقبلية، مما طرح مشكل سيادة السلطة العثمانية على هذه المناطق، التي كانت تتبنى سياسة العناد والتمرد ورفض التبعية ودفع الضريبة لسلطة العثمانيين في الجزائر.[1]

أولا : علاقة السلطة العثمانية بإمارة ورقلة :

تعد ورقلة أو (ورجلان) من أهم واحات الصحراء الشرقية للجزائر، وهي عريقة جدا في الجنوب الشرقي للجزائر، ولقد جعلها موقعها الجغرافي ودورها في تجارة القوافل العابرة للصحراء باتجاه بلاد السودان تتحول إلى مركز ثقل اقتصادي وسياسي في العصور الوسطى والحديثة، ولكن دورها خلال الفترة العثمانية، رغم أهميته إلا أنه لم يعرف نفس الوتيرة من الشهرة التي سبقت القرن السادس عشر بسبب نقص المصادر والكتابات حولها، ربما نتيجة تحول مركز الثقل خلال هذه الفترة إلى مدينة الجزائر والمدن الشمالية كقسنطينة و مازونة والمدية وغيرها، لكنها حافظت على أهميتها تجارة القوافل باتجاه بلاد السودان[2]. وهو ما تحتاجه السلطة العثمانية في تموين اقتصادها بمنتوجات بلاد السودان، وتجعل منها منفذا نحو إفريقيا جنوب الصحراء. كما تجسدت أهمية ورقلة من خلال وجود القبائل العربية القوية و المتجذرة في المنطقة والتي كان للدولة العثمانية حاجة بها لتكوين حلفها الذي تسيطر من خلاله على الصحراء الشرقية.[3] ومنها قبيلة سعيد، مخادمة، عطبة، الشعانبة، بني ثور، الربايع و اولاد نايل، وهي قبائل رعوية تميزت بالفروسية والبأس الشديد ، اعتمدت عليها السلطة العثمانية في إخضاع هذا الجزء من الصحراء[4] ، ولقد عرفت هذه القبائل بقبائل المخزن ، والتي تولت خلال فترة

[1] نور الدين شعباني : علاقة السلطة العثمانية بإمارات الصحراء الكبرى ، المجلة التاريخية الجزائرية ، جامعة الجيلاني بونعامة خميس مليانة ،الجزائر ، العدد 02 ، 2020، ص 90.

[2] ناصر الدين سعيدوني : ورقات جزائرية ، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، طبعة الثانية منقحة ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 ، 474 .

[3] نفسه ، ص 476.

3 الأزهري عباز : نظام المشايخ في ورقلة بين العهدين العثماني و الفرنسي 1903-1884م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة لخضر الوادي ، السنة الجامعية ، 2013-2014 ، ص ص 24- 25 .

الدايات مهمة حفظ الأمن وحارسة الطريق المؤدية من قسنطينة إلى جيجل و عنابة وبسكرة و ورقلة، بالإضافة إلى دورها في ضمان جمع الجباية الضريبية لبايلك الشرق. كما كانت تكلف بحارسة الحصون والقلاع والممرات الصعبة، كما لعبت دور الوسيط بين الرعية والسلطة اعتمدت عليها السلطة العثمانية في المناطق الريفية و الصحراوية[1] .

وبفضل هذه القبائل تمكنت السلطة العثمانية من فرض سيطرتها على منطقة ورقلة ومنطقة الجنوب الشرقي للجزائر، من خلال حملات عسكرية منذ أن تمكن حسن آغا ضم مناطق الحضنة، و الزاب وأبقى حامية عسكرية سنة 1541م ، ومنذ ذلك الحين توالت الحملات العثمانية على المنطقة رغم أن المسافة التي كانت تقطعها القوات العثمانية كانت تقدر بمسيرة 21 يوم[2].

وهناك وجه آخر من أوجه السلطة العثمانية على منطقة ورقلة وضواحيها، والتي تجسدت في تلك العلاقة التي ربطت أهالي ورقلة برجال الإيالة عن طريق الهجرة إلى المناطق الشمالية، حيث كان أهالي ورقلة حريصون على الاحتكاك برجال السلطة المركزية مستفيدين من المزايا التي يوفرها لهم الشمال كالمواد الأولية الضرورية لعيشهم أو حاجتهم لتصريف منتجاتهم الجنوبية التي تلقى رواجا في الشمال، ومن هذه العائلات الورقلية من اضطر لقبول الانخراط ضمن قبائل المخزن مثل عائلة سعيد عطبة،وهذا من أجل الاستفادة من المراعي لمواشيها على حساب قبائل أخرى كالمخادمة و بني ثور و الشعانبة[3]. كما فُرِضت السلطة العثمانية على القوافل التجارية القادة من ورقلة و بسكرة و توات ، أو المتجهة نحو بلاد السودان ، حيث عينت الإدارة التركية قائدا على كل سوق يستخلص الضرائب والمكوس، والتي قدرت ب 10 %من ثمن البضاعة الداخلية إلى السوق، وتعد هذه الرسوم وسيلة

1 جوير شيماء و غضبان نادية : المجتمع الريفي و علاقته بالحكم العثماني قي الجزائر عهد الدايات ، 1971-1830 م ، مذكرة لنيل شهادة ماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، جامعة المسيلة ، السنة الجامعية 2016-2017 م ، ص 29 .

2 Haido(Fray Diego), Histoire des rois d'Alger, Traduit et annotée par :H –D, de Grammont, Adolph Jourdan Libraire - éditeur, Alger,1881, p86.

3 ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق ، ص 483 .

لاستخلاص الضرائب من الأراضي الصحراوية المستعصية، وأيضا وسيلة لتشديد الرقابة وفرض السلطة على الأقاليم الصحراوية و النائية [1].

من خلال هذا يصح القول أن ورقلة فكانت تربطها بالسلطة المركزية علاقات تجارية نشيطة، بسبب الموقع الإسيتراتيجي لورقلة الذي حولها إلى نقطة مهمة في تجارة القوافل أو ما يعرف بطريق الواحات والقصور والذي كان ينطلق من تافلالت نحو غدامس، ولما يصل إلى تقرت وورقلة يتفرع إلى غات وتماسين والقليعة والأغواط والزيبان. وكانت تسلكه قوافل الحجاج، ولقد كانت هذه السلعة التي تمر عبر ورقلة وسيلة تمكنت من خلالها السلطة العثمانية على فرض سيطرتها على أهل ورقلة وعلى أهالي المناطق الجنوبية لأن هؤلاء السكان كانوا يولون اهتماما كبيرا باستمرار تدفق هذه السلع التجارية نحو الشمال لأنها تشكل سبب قوتهم وسبب وجودهم[2].

وهناك ولاء ديني للسلطة العثمانية من طرف شيوخ ورقلة تمثل في خطبة الجمعة التي كانت ترفع باسم الخليفة العثماني باسطنبول وهذا بعدما تخلى أهل ورقلة عن مبايعة الإمام الاباضي الذي كانوا

يتبعون مذهبه منذ القرن الثامن[3].

ثانيا : علاقة السلطة العثمانية بإمارة تقرت :

تنتمي واحتي ورقلة وتقرت إلى مجال طبيعي جيولوجي وعمراني واحد، بحيث تنتميان إلى إقليم وادي ريغ الذي جعلهما مركز ثقل المنطقة الجنوبية الشرقية للجزائر، ولقد كانت تقرت تابعة لسلطة سلطان تونس الحفصي أبي عبد الله المتوكل بن محمد[4] الذي حكم من سنة1494 إلى سنة 1526م[5]،وحتى في الخمسينات من القرن 16م كانت تقرت تابعة للسلطة الحفصية، فقد ذكرها المؤرخ الاسباني مارمول كربخال قائلا: "كانت المدينة في أول الأمر خاضعة لملوك مراكش، ثم صارت تابعة لسيادة

---

[1] فاطمة الزهراء سيدهم : موارد ايالة الجزائر المالية في مطلع القرن 19م، دورية كان الالكترونية ، عدد 13 ، السنة السابعة ، سبتمبر ، 2011م ، ص 26 .

[2] ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 487 .

[3] الأزهاري عباز :رالمرجع السابق ، ص 36 .

[4] نفسه ، ص 36 .

[5] عبد الصمد بن الأخضر : فهرس التاريخ السلطوي لإقليم وادي ريغ و الخضوع تحت سلطة المتغلب من عهد بني رستم إلى عهد بني جلاب ، الألوكة ، 2015-2016م ، ص 6 .

مملكة تلمسان، لكنها في أيامنا هذه خاضعة لملك تونس الذي يستخلص من السكان أتاوة قدرها خمسين ألف مثقال في السنة[1].كما أكد حسن الوازن الذي عاش بين1494-1554م ، بأنها كانت تابعة لحاكم تونس خلال منتصف القرن 16م، حيث قال: "وكانت طوغورت في الماضي تحت سلطة ملوك مراكش ثم أصبحت تابعة لملوك تلمسان، وأخيار صارت تابعة لملك تونس الذي تدفع له خمسين ألف دينار في السنة، لكن على شرط أن يأتي شخصيا لاستلام هذه الضريبة[2]. وقد وصف حسن الوازن أمير تقرت خلال هذه الفترة وهو عبد الله الذي وصفه بأنه شاب طيب و كريم [3]، و بيدو أنه هو نفسه ذلك الأمير الشاب الذي عايش فترة حملة الحاكم التركي صالح رايس على ورقلة و تقرت سنة 152م، والذي يدعى عبد الله بن محمد الشيخ [4]. بالعودة إلى المصادر والدارسات حول تاريخ المدينة فإننا نجد أن هذا الأمير الشاب الذي كان حاكما لتقرت باسم سلطان إمارة تقرت، والذي في عهده انضمت هذه المدينة إلى السلطة العثمانية، هو في الحقيقة ينتمي إلى أسرة عريقة حكمت تقرت منذ القرن السادس عشر تسمى أسرة بني جلاب، هي أسرة عريقة في المنطقة عرفت بالمال والجاه و النفوذ مدينة تقرت منذ القرن 15م ، وكان مؤسس هذه الأسرة هو الحاج سليمان المريني ، الذي يعد أول من حكم تقرت من هذه العائلة،حيث كانت عبارة عن مشيخة قبل أن تتحول إلى إمارة وسلطنة مستقلة [5]خلال القرن 16م[6] ،والذي ثار ضد السلطة العثمانية ورفض دفع الضريبة المعتادة، فزحف إليه الحاكم العثماني صالح ريس في بداية أكتوبر 1552م، وبالتالي ربط تقرت بالسلطة العثمانية[7].

يمكن القول أن السلطة العثمانية كانت في علاقتها مع الحكام المحليين في الجنوب الشرقي تستثمر في عداوات وصراعات القبائل فيما بينها، من خلال المكائد والمؤامرات، لان السلطة العثمانية فشلت في

---

[1] مارمول كربخال : إفريقيا ،ت محمد حجي ، محمد زنيبر، محمد الأخضر ، أحمد بن جلون ، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة و النشر ، الرباط ، 1984م ، ص 165 .

[2] حسن الوزان : وصف إفريقيا ، ت عبد الرحمن حميدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 2008 م، ص 508 .

[3] المصدر نفسه . ص509.

[4] عبد الصمد بن الأخضر ، المرجع السابق ، ص 6 .

[5] الأزهاري عباز : المرجع السابق ، ص 37.

[6] محمد بن معمر : علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر ، مجلة الحضارة الإسلامية ، العدد 12 ، جامعة وهران ، 01، جوان 2005م ، ص 17 .

[7] ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، 481 .

السيطرة عسكريا على هذه المناطق، فلقد تم تسميم الشيخ فرحات الجلابي من طرف منافسيه وخلفه ابن أخيه إبراهيم بن احمد الجلابي، ثم تعرض هذا الأخير إلى ضغوطات من طرف صالح باي الذي تآمر مع الحاج محمد بن قانة الذي اخذ مكان بن جلاب في رئاسة تقرت وهذا ما يعجب آهل الصحراء الذي اتحدوا لإعادة إبراهيم بن احمد الجلابي إلى حكم تقرت سنة1791م.[1]

مهما يكن من أمر فإن موقع تقرت في منتصف طرق صحاروية مهم، منها الطريق الذي يربطها بتافلالت المغربية، والطريق الذي يربطها بغدامس الليبية، وآخر يربطها ببلاد السودان الغربي. وهي طرق جعلت منها محطة تجارية كبرى في العهد العثماني، حيث يذكر الضابط الفرنسي دوماس بأن كل أنواع السلع كانت تجتمع في تقرت، فكانت تأتيها من بلاد الازب أكياس القمح والشعير وزيت النخيل و الخرفان ، وتأتيها من بلاد أولاد نايل الصوف و الكباش و الإبل ، ويأتيها من القبائل التين و العنب ، و البرنوس و الحايك ، ويحمل إليها الطوارق التبر و العاج و مختلف سلع بلاد السودان[2] ، وهذا الأمر الذي جعلها تربط علاقات تجارية مستمرة مع التل وخاصة مع السلطة العثمانية في الجزائر ، التي اعتبرت هذا التبادل التجاري وسيلة تربط أهل تقرت بالإيالة بعدما فشلت الحملات العسكرية في ذلك .[3]

ثالثا : علاقة السلطة العثمانية مع الطوارق و توات :

أ–علاقتها مع الطوارق:

إنه لمن الصعوبة بمكان تحديد بدقة المجالات التي يسكنها الطوارق في الصحراء، لأن حياة البداوة والنهب التي يعيشها الطوارق صعبت التحديد الجغرافي لهؤلاء الطوارق، حيث نجدهم ينتشرون في مساحة كبيرة جدا يحدها خط يمتد من تديكيلت بإقليم توات، وينزل باتجاه تنبكتو ويمر على طول نهر النيجر في الجنوب الغربي، ثم يصعد باتجاه فازن عبر غدامس، فهذه هي مجالات الطوارق في فضاء صحراوي يعدون هم أسياده بدون منازع[4]. وتعد التجارة العابرة للصحراء أو ما يعرف بالتجارة مع

[1] محمد بن معمر ، المرجع السابق ، ص 23 .

[2] M. Daumas, Le Sahara algérien, Etudes géographiques statistiques et historiques sur la région au sud des l'établissement françaises, Paris, 1845, p136.

[3] فرج محمد فرج ، المرجع السابق ص ص 83-84.

[4] M.Daumas, Op.Cit,p323.

بلاد السودان العصب والشريان الذي بسببه حافظت الصحراء وشعوبها على حياتهم، كما أن هذه التجارة هي التي ربطت شمال الصحراء بجنوبها عبر التاريخ، ولقد تميزت بعض الشعوب الصحراوية بالخصوص بهذا الدور أكثر من غيرها، وذلك بسبب وجودها في أرض صحراوية تعد ملتقى جميع الطرق التجارية ومنفذ ضروري لكل السلع القادمة إلى بلاد السودان أو الخارجة منه، ونقصد بهذا الشعب هم الطوارق [1].حيث كانوا يفرضون إتوات على القوافل المارة بأرضهم مقابل حمايتهم، فكانت هذه الطريقة في العيش سبيلهم الوحيد في الحياة، فلقبوا بحق أسياد الصحراء، لهذا كان على من كانت له مصلحة بهذه التجارة أن يتقرب إليهم سياسيا و يتودد إليهم بشتى الطرق[2]. أمام هذا الوضع فإن العثمانيون كانوا يريدون ربط علاقات مع الطوارق حتى يضمنوا الوصول إلى مراكز التجارة الصحراوية وتأمين طرقها.[3]

ب – علاقتها مع توات :

رغم بعد المسافة بين توات و مراكز البيالك و مقاطعاته في الشمال الجزائري إلا أن العثمانيون لم يفرطوا نهائيا في المنطقة التواتية ، فقد قدموا إلى توات بدعوة من أهلها سنة 987هـ/1579م، حين هاجمت بعض قبائل تافيلالت المنطقة في العام الذي سبقه 1578،[4] فاستعان السكان بحاكم الجزائر العثماني[5]الذي أرسل جنوده في حملة استطلاعية لتوات لمساعدة الأهالي في صد العدوان[6] دون البث النهائي في مستقبل المنطقة التواتية وعلاقتها بالسلطة المركزية.وإذا تأملنا وقائع و خلفيات هذه الحادثة نلحظ الإحساس بالولاء غير المصرح بع من طرف ساكنة توات ، والاعتقاد منهم بأحقية العثمانيون

---

[1] Y. Urvoy, l'histoire de l'empire de Bornou, Librairie Larose, Paris, 5ème éditions, 1949, p150.

[2]عبد الرحمان تشايجي، الصارع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة: علي عازيزي، منشوارت مركز دارسة جهاد الليبيين ضد الغزو لايطالي ، الجماهيرية الليبية ، 1982م، ص 57 .

[3] محمد بن معمر ، المرجع السابق ، ص ص 122-123.

[4] فرج محمد فرج ، المرجع السابق ، ص 90.

[5]يرجح أنه البايلرباي حسن فنزيانو، الذي تولى حكم الجزائر في شهر ربيع الثاني 985هـ/جوان1577م،أصله إيطالي وبعد أسره تم بيعه لعلج علي الذي عينه العثمانيون باي لا رباي على شمال إفريقيا ، اشتهر بالحزم و النشاط الحربي مدة ولايته ، تمت تنحيته سنة 989هـ/1580م،لكنه عاد مرة ثانية لحكم الجزائر من سنة991هـ/1583م،إلى غاية 993هـ/1585م،استدعى بعدها الأسطول العثماني مكان قلج علي .أنظر : رابح بونار، المغرب العربي تاريخه وثقافته ، ط3،دار الهدى، عين مليلة ، الجزائر 2000م،ص 350.

[6]عبد العزيز بن عبد الله :الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ ، ط1،دار نشر المعرفة ، المغرب ، 2001، ص 65.

كخلاقة إسلامية بنجدتهم على اختلاف اعتقادهم بالقبائل و الممالك الأخرى التي كانوا يرون في مجيئها لبلدهم مجرد غزاة باحثين عن السيطرة و النفوذ ، هذا من جهة أهل المنطقة ، أما من جهة العثمانيين فإن استجابة الحاكم العثماني لنداء سكان توات ونجدتهم فإن دل على شيء فإنما يدل على الإحساس بالمسؤولية تارة و بالرغبة في بسط نفوذه تارة أخرى باعتقادهم أنهم أولى بالمنطقة من غيرهم ، لذا لم يكن ترددهم على توات كله بالسلاح ، ففي سنة 990هـ/1582م، قام جعفر باشا[1] ابن باي طرابلس بجولة إلى توات مصحوبا بعشرة علماء متطلعين في أصول المذهب المالكي وفروعه فاستقبله بعض العلماء التواتيين[2]ومكث هذا الوفد سنة كاملة ناظر خلالها مع علماء توات في قضايا مختلفة. فقد كان التسيير الإداري لتوات قليل أو يكاد ينعدم ، حيث حافظت المنطقة على نمطها الإستقلالي مقابل ضريبة رمزية على الساكنة، في إشارة ضمنية دالة على الاعتراف و الولاء ، وهو ولاء ضعف بضعف أتراك الجزائر وتربص السلاطين السعديين ، حتى إذا ما ظهر حاكم عثماني مهيب الجانب ، عاد السكان إلى ممارسة الرمزية[3] ، التي لم تتعد دفع المكوس المفروضة أو الدعاء للعثمانيين أحيانا ، وبهذا يعتبر كاعتراف منهم ضمني بالولاء.[4]

وبهذا يمكن القول أن العلاقة التي جمعت بين توات و السلطة العثمانية تميزت بطابعها العلمي و الديني حيث حرص الأتراك على تبيان اهتمامهم بالمذهب المالكي الشائع بالمنطقة ، جنبا إلى جنب مع المذهب الرسمي للدولة العثمانية وهو الحنفي ، ودفع الضريبة سنويا .[5]

المبحث الثاني : الحملات العثمانية على الإمارت الصحراوية

[1] من أشهر الحكام العثمانيين في طرابلس الغرب "ليبيا " خلف علج علي في الحكم واستطاع فرض الأمن و الهدوء في المنطقة ، واحتل فزان و منطقتها سنة 1577م. وكانت برقة و فزان تحت تأثير التبعية لاغسمية للعثمانيين في مصر ،و هكذا بدأت تظهر خريطة ليبيا الموحدة .أنظر : محمود على عامر و محمد خير فارس ، تاريخ العربي الحديث المغرب الأقصى وليبيا ،الجمعية التعاونية للطباعة بدمشق ، سوريا ، ص 192.

[2] مؤلف تواتي مجهول ، تقييد تاريخ توات (ذكر ما وجد من الأخبار التواتية) ، مخطوط بخزانة الشيخ عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار ، ص01.أيضا : محمد بن مبارك ، تاريخ توات ، مخطوط بخزانة المنصور ، أقبلي ، أولف ، أدرار ، ص 03.

[3] بهية عبد المؤمن: الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنيين الثامن عشر و التاسع عشر الميلاديين (18-19) من خلال نوازل الغنية البلالية ، مذكرة ماجستير في التاريخ و الحضارة الإسلامية ، محمد بن معمر ، كلية العلوم الانسانية و الحضارة الاسلامية ، جامعة وهران ، 2006/2005م ، ص 13 .

[4] محمد بن عمر ، المرجع السابق ، ص 125.

[5] صالح عباد : الجزائر خلال الحكم التركي 1541-1830، دار هومة ، 2012، ص 74.

اعتاد حكام الجزائر العثمانية القيام بحملات عسكرية ضد الإمارات أو المناطق لإخضاعها لسلطتهم نظار لتمرهم المستمر عليهم ورفض التبعية لهم .ومنهم بسكرة في الشرق ،و إمارة بني جلاب تقرت و ورقلة .

أولا : بسكرة :

في الناحية الشرقية ، وجه حسن آغا حملة أخرى إلى بسكرة هي الأولى من نوعها ، فحصل على خضوع السكان لسلطته ، عاد رفقته من بسكرة إلى قسنطينة علي بوعكاز ، قائد العشائر العربية الدواودة الذين كانوا يهيمنون على المنطقة ، بعد أن منحه حسن آغا قفطان التولية على البدو تحت اسم شيخ العرب[1]

ثانيا : على تقرت:

فقد جهزوا لها أربع حملات عسكرية على فترات متباعدة أي بمعدل حملة عسكرية واحدة لكل قرن من الزمن ، بسبب بعد الإمارة عن مركز السلطة العثمانية من جهة و لتكلفة هذه الحملات من جهة أخرى لموقعها بالجنوب الصحراوي ،وكانت أولى هذه الحملات التي تعرضت لها إمارة بني جلاب ، هي الحملة التي شنها بيلرباي الجزائر صالح رايس[2] في شهر أكتوبر 1552م .أي في السنة التي انتصب فيها على أريكة الجزائر ، و كانت حملته من أهم ما ابتدأ به من أعمال وباشرها بنسفه في صدر ولايته التي دامت ما بين (1552-1556) .[3]

الحملة الأولى صالح رايس(960هـ- 1552):

أسباب الحملة :

استبداد بني جلاب بإمارتهم بتقرت ، و امتناعهم عن أداء الجباية و المغرم[4] . وحسب مارمول[1] فإن هذه الضريبة التي امتنع عن دفعها بنو جلاب للأتراك كانت مقابل حمايتهم من العشائر العربية ،

[1] صالح عباد : ، المرجع السابق ، ص 69 .

[2] Haido(Fray Diego), Histoire des rois d'Alger, Traduit et annotée par :H –D, de Grammont, AdolphJourdan Libraire - éditeur, Alger,1881, p 269 .

[3] ناصر دين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 73.

[4] الجيلاني عبد الرحمن : تاريخ الجزائر العام ، دار الثقافة ، بيروت ،1982، ج 3 ، ص 86 .

أي أنهم هم الذين طلبوا الحماية التركية و نظرا لسوء معاملة الأتراك توقفوا عن دفعها . ولكن هذا رأي مستبعد ، لعدم وجود حامية تركية بتقرت لهذا الغرض ، ثم إن اسلطان بني جلاب إنما قام بفضل هؤلاء العرب خصوصا أولاد مولات المقيمين بضواحي المدينة .[2]

ولكن من الأرجح أن يكون صالح رايس هو الذي طلب من أهل تقرت و ورقلة دفع الضريبة عند وصوله إلى الحكم حتى يخضع الجنوب الجزائري للسلطة العثمانية ، و أمام رفض هؤلاء ورغبتهم في الاستقلال كان لابد من استعمال القوة .[3]

بعد أن تولى صالح رايس الحكم على مدينة الجزائر حتى علم أن تقرت و ورقلة قد امتنعتا عن دفع الضريبة المعتادة ، وكانت المدينتان قد خضعتا للأتراك لتحميا نفسيهما من القبائل العربية، وقد جاء هذا الخضوع عقب حملة حسن آغا إلى ناحية بسكرة و الزيبان .[4]

خرج صالح رايس في أوائل أكتوبر سنة1552م في حملته ضد تقرت و من ثلاثة آلاف تركي و علج و ألف فارس مزودين بمدفعين . سار نحو الصحراء[5]، فلحق به عبد العزيز أمير بني عباس على رأس ألفي فارس و ستة آلاف رجل من المشاة[6] ،كما التحق به بوعكاز شيخ العرب[7]، لم يتجرأ ملك تقرت الصبي أحمد بن سليمان بن عمر ، على الخروج لمواجهة الأتراك .قصف صالح رايس المدينة مدة ثلاثة أيام ، و بعد سبعة أيام من الحصار اقتحمها و ألقى القبض على الملك الذي ألقى بالمسؤولية أو اللوم على وصيه و حاشيته الذين زينوا له فعلته [8] .

ثالثا: الحملة العثمانية على ورقلة :

---

[1] Revue africaine ,Les ben-djellab sultans de tougourt,n23 ; Annee 1879 ,p 265 .

[2] محمد بن عمر ، المرجع السابق ، ص 118.

[3] نفس ، ص 119.

[4] فيرو: بنو جلاب ، سلاطين تقرت ، المجلة الإفريقية ، العدد 23 ، ص 269 .

[5] Haido , Op.Cit,p 269.

[6] صالح عباد ، المرجع السابق ، ص 74 .

[7] Haido , Op.Cit, p272- 273 .

[8] Ibid , p 323 .

بعد تقرت توجه الأتراك إلى ورقلة التي رفض حاكمها تقديم الضريبة ، فوصلها بعد أربعة أيام من السير،[1] صاحبين معهم ملك تقرت ، لما علم ملك وقلة بقدوم الأتراك فضل الانسحاب إلى نواحي القليعة[2] مع جنوده البالغ عددهم أربعة آلاف فارس وبعض الأهالي[3] ، فلم يجد صالح رايس في المدينة سوى أربعين زنجيا جاءوا ليبيعوا عبيدهم في ورقلة ، فأخذ منهم 200ألف ريال ، .بعد استراحة دامت عشرة أيام عاد جيش الأتراك إلى تقرت أين أعاد ملكها إلى عرشه ، تاركين رسالة إلى ملك ورقلة يأمره فيها بالعودة إلى مدينته ، ويعده بالأمن شريطة تقديم ضريبة سنوية. اضطر الملك أحمد بن سليمان للإعتذر عما بدر منه لصالح رايس الذي أقره على تقرت بعد أن تعهد بإخلاص و التبعية و الاعتراف مجددا بالسلطة التركية ملتزما بدفع الضريبة. [4] التي تمثلت في 15زنجية[5] ، كانت ضريبة ورقلة تتمثل تقديم ضريبة سنوية لدوان الجزائر لا تقل عن 30عبدا من رقيق السودان [6]. ويرجع هذا الانسحاب السريع لصالح رايس دون إبقاء حامية تركية بالمنطقة وتنظيم شؤونها إلى الأحداث التي كانت تعيشها الجزائر خصوصا الهجمات الإسبانية المتكررة.[7]

6 ناصر الدين سعيدوني : المرجع السابق، ص 480 .

[2] القليعة : تلقب كذلك بالمنيعة و تاهورات ، الإسمين الأولين ينادونها به الشعانبة و التي تعني بالفرنسية ممر أو شيء متواصل ، فحسب دوفيريي اسم للواحة ، تعني الغابة الصغيرة المنيعة، تقع مدينة القليعة على جبل صخري وهي من قصور الصحراء وبها 200بيت بالتقريب محاطة بجدار يحميها وهو عالي جدا ، ومتين ، مبني بالحجارة و لها باب واحد من جهة الغرب ، وبها بئر كبير و عميق مبني من الأسفل إلى الأعلى يزود السكان بالماء ، و يوجد تحت الجار ، حوض لتجميع المياه بحيث يتسع عشرين جملا يشربون منه في وقت واحد . –تقرير الجمعية الباريسية ، سبتمبر ،1815م ، شوال 1230هـ.

[3] وولف جون : الجزائر و أوروبا ، تر ، أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986 ، ص 70.

[4] محمد بن عمر ، المرجع السابق ، ص 115..

[5]صالح عباد ،المرجع السابق ، ص 74 .

[6] Revue africaine, histoire des rois d Alger,n 24, Annee 1880 , , pp 27I – 272 .

[7] أندري شارل جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية ، تر محمد مزالي ، الدار التونسية للنشر و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1978، ج 2، ص 343.

الفصل الثالث

الأطماع السعدية في الصحراء الجزائرية خلال القرن 10هـ/16م

- المبحث الأول:العلاقات السعدية الجزائرية .
- المبحث الثاني: التوسع السعدي في الصحراء الجزارية .
- المبحث الثالث:نتائج الحملات و أهم المواقف من تلك التدخلات السعدية .

الفصل الثالث : الأطماع السعدية في الصحراء الجزائرية خلال القرن 10هـ/16م.

منذ ظهور نشأة الدولة الزيانية و المرينية، ربطت بلاد المغرب الأوسط و الأقصى علاقات متعدّة في المجالات سياسية و الاقتصادية و الاجتماعية ، إلا إنه بمطلع القرن 16م عرفت هذه العلاقات ركوداً و تشنوجاً خاصة في أواخر عمر السلطة الزيانية، بفعل اختلاف التوجهات الفكرية و السياسية، فالوطاسيين كانوا يمثلون حركة الجهاد في المغرب الأقصى و الزيانيون سقطوا في حلقة الصراع على الحكم و الخضوع للإسبان، ومع سقوط مملكة تلمسان تجددت الروابط بين حكام المغرب و الجزائر في إطار الجهاد و حملات الاستراداد، فالعثمانيون في الجزائر كانت لهم علاقات طيبة مع الوطاسيين ثم تحولت هذه العلاقات من علاقة سلمية إلى علاقة عدائية في العهد الأول للدولة السعدية ، كانت سبباً في الانقسامات السياسية و تراجع التعاون المتبادل بين البلدين ، لكن سرعان ما عادت العلاقات لتتحسن في العهد السعدي الثاني، لهذا فإن موقف الجزائر كان دفاعيا ضد الإنتهاكات الحدودية التي كان يقوم بها حكام المغرب[1]. وبحكم الجوار بين البلدين كان لابد من وجود علاقة سياسية تحكمها مجموعة من المصالح التي تسعى كل دولة لتحقيقها ، فمع توالي الأنظمة السياسية في المغرب الأقصى تأثرت العلاقات بتوجه الأنظمة الجديدة و أهدافها[2] .

المبحث الأول : العلاقات السعدية الجزائرية في القرن 16م.

أولا: العلاقات الاقتصادية

إن أي حرفة أو عمل إنتاجي يتطلب وجود مجوعة من الأسواق ، ولا يمكن لهذه الأسواق تغطية حاجيات المستهلك مما يستوجب استدراك العجز عبر استجلاب السلع عبر القوافل فقد كانت المغرب تكمل الجزائر بسلعها و العكس تماما في توافق مستمر للحركة التجارية .

أ- العلاقات التجارية

[1] أحمد شربيتي : العلاقات الجزائرية –المغربية (905-1194هـ/1500-1780م) ، مراد قبال ، شهادة الماستر، تخصص الحديث و المعاصر ،جامعة الجيلالي بونعامة ، الجزائر ، 2015-2016م ، ص32.

[2] Mario vivarer , Au Sujet du Touat ,Alger ; libraire Michel Ruff,1896,p13.

إن العلاقات التجارية بين الجزائر و المغرب الأقصى لم تكن متعددة بالمقارنة مع الدول الأوروبية ، فقد كانت التجارة بين البلدين تتم عن طريق الموانئ و عن طريق القوافل التي لعبت دور مهما في العلاقات ، فقد كانت تمر عبر طرق معينة في القطر الجزائري ، ثم تتوجه إلى المغرب الأقصى إما محملة بمنتجات قادمة من إفريقيا أو من المدن الجزائرية ، وهذا يدل على أن حجم التبادل التجاري بين القطرين كان منخفض باستثناء المدن الحدودية ك تلمسان و وهران فقلد كانت واحة توات الواقعة في الشرق الجزائري أهم المراكز التجارية لجميع دول المغرب و السودان ، كما كان لتجار بني مزاب و ورقلة وبسكرة و قسنطينة الدور الفاعل في التجارة مع المغرب ، فسلعهم غالبا ما تتجه إلى فاس و مكناس و تيطوان حاملين معهم الحرير المنسوج و الفضة و أدوات الزينة و في المقابل يجلبون من سجلماسة المواد الجلدية و الخيول و غالبا ما تتغير طريق القوافل بحسب الظروف ولكن تبقى خطوط النقل للقوافل تنقل من اتجاه الغرب إلى الشرق أو العكس [1].

ذكر ابن بطوطة في كتابه تحفة الناظر أخبار الطرق التجارية خاصة الرابط بين فاس مرورا بتلمسان و صولا إلى ملينانة ثم الجزائر إلى بجاية و عنابة ، إذ أن هذا الطريق من إحدى الطرق المعروفة في ذلك الوقت أأمنها [2]. كان لتوات الدور الحيوي في التجارة بين المغرب و الجزائر و لا عجب أن أهل توات أكثر ثراء فنجد أن هذه المدينة تمر بها عدة طرق تربط بين التوات و المغرب ، ويمر بتلمسان طريق بري داخلي يبدأ من مراكش بالمغرب الأقصى ثم مكناس ثم فاس ثم تلمسان ثم يتجه بالمحاذاة مع سفوح الأطلس الصحراوي حتى المسيلة ثم نقاوس ثم تبسة .كما كان للتجار المغاربة في الصحراء الجزائرية دور فعال في المعاملات التجارية ، إذ ذكرت الأستاذة عائشة غطاس أن المغربة كانوا يستحوذون المرتبة الأولى من مجموع الصفقات التي كان يجريها العنصر المغاربي[3] ، أما في الجانب الجزائري فقد كان للقراصنة حظهم أيضا في بيع الغنائم على

[1] محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1972م، ص ص 104- 105.

[2] ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة تحفة الناظر في غرائب الأمطار و عجائب الأسفار ، تق و تح : محمد عبد المنعم العريان ، ط 1، دار إحياء العلوم ، بيروت –لبنان ، 1987م ، ص 175 .

[3] عائشة غطاس : الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر 1700-1830م(مقاربة اجتماعية –اقتصادية) ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، كلية العلوم الإنسانية ، قسم تاريخ ، الجزائر ، 2000-2001م ، ص 40 .

الموانئ المغربية فنجدهم يترددون على ميناء سلا و تيطوان لبيع العبيد و الذخيرة و يشتريها منهم المغربيين و الانجليز و سمح لهم المغربة باستعمال موانئهم و هذا يدل على مدى التعاون في المجال التجاري[1].

يمكن القول أن المعاملات التجارية بين الجزائريين و المغاربة لم تتأثر بالأوضاع السياسية نظرا للطابع الحدود الغير رسمية بين الغرب الجزائري و المغرب الأقصى .

ب – المواد التجارية المتبادلة:

ترتكز المبدلات التجارية بين البلدين على ، السيوف و الأقمشة الهندية و القسنطينية و مواد الصباغ النباتية و الحرير التونسي[2]، كما كان المغرب يصدر إلى الجزائر الصابون و السكر و الجلود المدبوغة و النعال المصنوعة من الجلد و الحياك الصوفية و السلاح (السيوف والبنادق)و الأنسجة القطنية و الشواشي و الأقمشة الحريرية و الخيول و تبر الذهب و البخور و النيلة[3]

ومن ضمن السلع التجارية الأسرى فقد كان المغربة يبيعون الأسرى كعبيد قي الجزائر و العكس تفاديا لخرق الاتفاقيات التي تمنع بيع العبيد ،كان التيطوانيين و السلاوين يبيعون الغنائم و مواشي التي غنموها من السفن في مدينة الجزائر [4].

كما نجد أن توات تصنف من أهم المراكز التجارية خلال العصر الوسيط باعتبار موقعها المتميز و الذي يعد الممر الطبيعي لتجار السودان الغربي و لبضائع بلدان المغرب بحيث أصبحت بحق حلقة وصل بين الشمال و الجنوب و الشرق و الغرب عبر الصحراء الكبرى[5]، أيضا توفرها على الموارد

[1] الناصري : مصدر سابق ، ج 052 ، ص 70 .

[2] Diego de Haédo. Topographie et histoire générale d'alger . tr: Monnereau et A. berbrugger.1870. immprimé a Valladolid en .1612. p 54.

[3] النيلة : صبغة نباتية زرقاء اللون ، الوزان ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص 120 .

[4] عمار بن خروف : العلاقات بين الجزائرو المغرب ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ، تخصص تاريخ ،كلية الآداب ، قسم التاريخ ، جامعة دمشق ، 1983م ، ص 319 .

[5] عباس عبد الله : الدور الحضاري لإقيلم توات ، الملتقى الوطني الأول ، العلاقات الحضارية بين إقليم توات و حواضر المغرب الإسلامي ، أدرار ، 2009 ، ص 261 .

المائية و وجود الكلأ للدواب[1]، استغل أهل توات موقع إقليمهم الذي يتوسط أسواق الشمال و الجنوب فاشتغل الكثير منهم كتجار وسطاء في سلع هذه الأسواق ، في الوقت الذي صارت فيه توات نقطة هامة للالتقاء و تجمع بين التجار القادمين من هنا و هناك مع قوافلهم محملة بالسلع المتنوعة للتبادل عليها ، وتجدر الإشارة أن أغلبية المدن و القصور التواتية قد نشأت أصلا عن القوافل التجارية العابرة للصحراء قاصدة الأسواق الرئيسية لذلك تحتم على أصحاب هذه القوافل التعامل مع أسواق هذه المدن و القصور للحصول على احتياجاتهم و لأخذ قسط من الراحة لمواصلة سفرهم الطويل[2]، ونظرا لما اشتهرت به أسواق توات من رخص و تنوع السلع و انتظام خروج و دخول القوافل تحولت إلى سوق تجارية مربحة بعد أن كانت نقطة عبور في الصحراء[3]، يقصدها التجار من كل حدب و صوب ، وقد جذبت أيضا قوافل الحجاج العابرة للصحراء في طريقيها إلى الأراضي الحجازية حيث كانت هذه القوافل تنطلق من مدن سجلماسة و تافيلالت و شنقيط كل عام و تسلك أثناء سيرها نحو شرق الطريق المار داخل إقليم توات[4]، وغالبا ما تشتري هذه القوافل حاجيتها من المؤن من الأسواق التواتية و تقوم بصرف الذهب بها حيث كان الصرف فيها أرخص من غيرها من الأسواق[5]، حيث يقول في ذلك صاحب الرحلة العياشي : "... أن كثيرا من الحجاج لما غلا

[1] البكري عبد الحميد : النبذة في تاريخ توات و أعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري ، ط 04 ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007، ص 46 .

[2] فرج محمد فرج : إقليم توات خلال القرنين 18و19م ، ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1977، ص 25 .

[3] جعفري مبارك بن الصافي : العلاقات الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال القرن 12هـ، ط01 ، دار السبيل للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ص 104 .

[4] عباس عبد الله : الدور الحضاري لإقليم توات ، ص 236 .

[5] سالمي زينب: الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 8.-10هجرية ، بودواية مبخوت ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، جامعة آبي بكر بلقايد ، الجزائر ، 1434-1433هـ/2011-2012، ص 32 .

صرف الذهب في تافيلالت أخذوا الصرف إلى توات لأن الذهب فيها أرخص وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر... ويوجد فيها من البضائع والسلع التي تجلب من هناك (السودان) شيء كثير..."[1].

توفرت توات على شبكة من الطرق التجارية التي ربطتها بباقي المناطق ومن مختلف الجهات بحيث أنها كانت تتوسط تقريبا أربعة مدن برزت في التجارة الصحراوية وهي :

-غدامس شرقا وتبلغ المسافة بينها وبين توات 27يوما تقريبا .

-تمبوكتو جنوبا وتبلغ المسافة بينه و بين توات 29يوما من اقبلي .

-فاس غربا بينها وبين توات 32يوما .

-مدينة الجزائر شمالا بينهما 30يوما .[2]

إن هذا التطور الاقتصادي والتجاري لمنطقة توات أدى إلى ازدهار الإقليم وانتعاشه علميا وفكريا، حيث توفرت الأدوات العلمية كالمخطوطات، الورق، الصمغ وأيضا التجار الفقهاء الدين كانوا ينظمون حلقات الدرس إلى جانب التجارة وأيضا كانوا يجلبون الكتب إلى المنطقة ما أدى إلى تنوع العلوم والتخرج على حضارات متنوعة ساهمت في حركة الإبداع التي قادها العلماء التواتيون مع نهاية القرن 10هـ.[3]

ثانيا : العلاقات الاجتماعية والثقافية.

أ-العلاقات الإجتماعية :

[1] أبوسالم العياشي : ماء الوائد ، مطبوعات دار الغرب ، المغرب، ج1 ، 1977، ص 20.
[2] جعفري مبارك بن الصافي : المرجع السابق ، ص 110.
[3] جعفر بن أحمد الناصري : المحيط ، المرجع السابق ، ص ص 530-531 .

يوجد بين الجزائر و المغرب العديد من الروابط و الصلاة الاجتماعية التي صنعت انسجام تاريخي ورسخت الأخوة بين البلدين بعيدا عن الفواصل السياسية و الجغرافية[1]

1-الروابط العرقية : يجمع القطرين المغربي و الجزائري مزيج من الأجناس المتصاهرة و المندمجة فيما بينها منذ القدم عبر عوامل تاريخية عدة ، من ضمنها تعاقب الحضارات الغازية لهذه الأرض ، كان كفيلا باندماج السكان الأصليين من الأمازيغ مع العنصر الغازي في بعض الحالات ، كذلك هجرت قبائل المغرب بكثرة استولوا على السهول و انتزعوها من الأمازيغ تدريجيا إذ توسعت فروع قبائل العرب في المغرب الأوسط و صولا إلى المغرب الأقصى حتى غلبة لغة العرب على أهل المغرب و انصهر العرب بالبربر فأصبح العرب يعرفون بالعرب المستعجمة فعرب المغرب الأقصى و الأوسط إنما أصلهم واحد فأجدادهم من دخلوا إفريقيا إلى ثلاث قبائل ، حكيم و هلال و معقل ، وتتفرع إلى عدة فروع كبرى .[2]

2الهجرة و الاستقرار :

تعتبر الهجرة من بين أبرز المظاهر و الروابط التي ساهمت في تمتين العلاقات بين البلدين و ماساهم في ذلك غياب القيود السياسية و الحدود التي قد تحد من ظاهرة الهجرة ، ويمكن اعتبار أن القطرين المغربي و الجزائري كان قطر واحد لا تميزه إلا نظم الحكم المختلفة ، فقد كان أهل الجزائر و تجارها و علمائها يقصدون المغرب الأقصى لمزاولة أعمالهم و كأنهم في بلدهم الثاني وهو نفس الشعور لدى المغاربة . وكان هذا جليا في مجال طلب العلم عند العلماء ، فقد سجلت لنا كتب التاريخ العديد من علماء الجزائر الذين كانوا يقصدون المغرب لتلقي العلوم في جامع القرويين الونشريسي الذي أخذ العلم عن علماء تلمسان في بلده لكنه ارتحل من المدينة بسبب خلاف وقع بينه و بين سلطان تلمسان ففر إلى مدينة فاس و استوطن بها [3]. كما سجلت لنا العديد من المؤلفات التاريخية العديد من المواقف الطيبة التي تدل على التعاطف و التضامن بين المغاربة و الجزائريين خاصة في رحلات القوافل إلى المشرق الإسلامي[4].

[1] نفسه ، ص 532.

[2] سالمي زينب ، المرجع السابق ، ص 66.

[3] أبي عبد الله محمد بن ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر العاصمة ، 1908م ، ص 54 .

[4] عمار بن خروف ، مرجع سابق ، ص 364 .

ب- التقارب الفكري بين علماء الجزائر و المغرب

سجلت لنا كتب السير و التراجم جانبا من جوانب التقارب الفكري بين علماء الجزائر و المغرب ، فقد كانت عدة حواضر في المغرب الأقصى مراكز هامة يقصدها الطلبة الجزائريين و الأساتذة و المشايخ للتعلم و أخذ الإجازة و تصدر مجالس التدريس خاصة بجامع القرويين بفاس ، ومن أقرب نقطة في الغرب الجزائري للغرب الأقصى كان التلمسانيين يعبرون إلى فاس للغرض ذاته و كذلك يعبر المغاربة إلى الشرق و بضبط إلى تلمسان و عدة مدن جزائرية للأخذ و الإجازات العلمية من علماء توات.[1]

ثالثا:العلاقات الساسية :

أ :حرب محمد الشيخ السعدي مع الجزائريين

بعد سقوط فاس سنة 956هـ وجه محمد الشيخ السعدي أنظاره إلى المغرب الأوسط، وقرر فتح تلمسان و ما زاده تصميما ، فرارا خصمه أبو حسون الوطاسي إلى الجزائر.[2]

يقول صاحب كتاب الاستقصاء "...فرأى الشيخ من الرأي إظهار القوة في الحرب أن يبدأهم قبل أن يبدؤوه فنهض من فاس قاصدا تلمسان في مجوعه إلى أن نزل عليها و حاصرها تسعة أشهر ، و قُتل في محاصرتها ولده الحرانّ، و كان نابا من أنيابه و سيفا من سيوفه ، ثم استولى الشيخ على تلمسان و دخل يوم الاثنين 23جمادى الأول سنة 957هـ/1550م ، ونفى الترك عنها ، و انتشر حكمه في أعمالها إلى وادي الشلف...".وفي حقيقة الأمر أن السعديين استغلوا انشغال حسان بن خير الدين سنة 1550م ،بإعداده لفتح وهران بعدما جهز جيشاً قوامه ألف رجل من رماة البنادق و مائة فارس و 8آلاف من متطوعي زواوة فلما كان حسن بن خير الدين بالقرب من مستغانم بلغه خبر أن السعديين استولوا نحو نهر الشلف فالتقى الجيش الجزائري بقيادة حسان قورصو بالجيش السعدي ،لكن قوات الشريف السعدي سرعان ما انهارت و تراجعت فا ستغل هذا لصالح الجزائريين فاستعادوا مستغانم و تقدموا صوب تلمسان فأرسل محمد الشيخ مدداً من ألف رجل وإلتقى الجيشان

[1] سالمي زينب ، المرجع السابق ، ص 71.

[2] أحمد توفيق المدني ، المرجع السابق ، ص 342.

مرة أخرى بالقرب من قبة سيدي موسى انتهت المعركة بهزيمة لجيش لمغربي،[1] و مقتل الشريف عبد القادر ابن السلطان المغربي وانسحب الجيش إلى ماوراء ملوية، وبعدها دخل جيش الجزائر تلمسان [2].

في خطوة لتحسين العلاقات بين الجزائر و السعديين سنة 1553م بعد واقعة تلمسان أرسل السلطان العثماني فرمانا إلى إيالة الجزائر يأمر فيه بإيفاد وفد، وكان الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي من أصل جزائري على رأس هذه البعثة،[3] فدخلوا على السلطان المغربي بمراكش و فاوضوه باسم السلطان العثماني ضمن شروط من ضمنها الاعتراف بالسلطان العثماني مقابل عدم التدخل في الشؤون الداخلية للمغرب الأقصى و جمع كلمة المسلمين و الدعاء للسلطان العثماني في منابر المغرب و إطلاق سراح الأسرى من بني وطاس و تحديد الحدود بين الجزائر و المغرب الأقصى ، لكن السلطان المغربي رفض كل شروط و طلبات السلطان العثماني ولم يقر إلا بمسألة الحدود التي تم تحديدها[4].

ب.مقتل الشريف محمد المهدي :

لما بلغ السلطان العثماني خبر انقراض دولة الوطاسيين أرسل رسولا إلى محمد الشيخ يهنئه بالملك و يلتمس منه الدعاء له منابر المغرب ،فلما بلغ الرسول العثماني مراكش انزله سلطان المغرب أبي عبد الله الشيخ على كبير الأتراك وكان من الأتراك الذين انضموا له بعد سقوط فاس في يده بعد انقراض دولة الوطاسيين فجعلهم جنده و سماهم اليكشاري[5] أي العسكر الجديد ، فلما اطلع السلطان على الكتب و جده به عرض من السلطان يتضمن يلتمسح الدعاء له في منابر بلاد المغرب الأقصى و صك العملة باسمه ، فانزعج و عاتب الرسول و انتهره ، فخرج الرسول من عنده مذعورا و توجها إلى اسطنبول و لما بلاغ السلطان العثماني ما كان ، أراد أن يرسل حملة للمغرب لكن الصدر الأعظم راجعه خوفا من أن يستغل الاسبان ذلك و لعل هذا من ضمن الأسباب فقد ذكر احمد توفق المدني سببا إغتيال الشيخ السعدي بقوله "...لكن شوكة الشريف السعدي الذي اشتد أمره و قوى ساعده

[1] الفشتالي ، مناهل الصفا ، ص 115.

[2] أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص 329 .

[3] أحمد شريبتي المرجع السابق، ص 36 .

[4] نفسه ، ص 331 .

[5] **اليكشاري**: إن أصل اللفظ الإنكشارية وهي مصطلح عثماني ، لكن محمد الشيخ غير هذا اللفظ و عدله إلى اليكشاري

بمراكش ، كانت تؤلم جنوب الجزائريين و تقض مضاجعهم و خاصة بعد أن نصبوا أبا حسون بفاس تحت حمايتهم و بطش به الشريف بطشة

جبارة عاتية ..."وما أكد خوفهم إقدام السلطان السعدي على مفاوضة الاسبان قصد الوصول إلى اتفاق حربي سياسي ضد دولة الجزائر للقضاء عليها و تقسيم أملاكها بينهما وكان ذلك سنة 1555م[1]، كذلك فقد كان ينعت السلطان العثماني بسلطان القوارب.[2]

فبدل أن يرسل السلطان العثماني عمارة بحرية تم إرسال 12رجلا و بذل لهم 12ألف دينار و اتصلوا سرًا بصالح الكاهية كبير عسكر الشيخ ووعدوه بالمال ، ثم دخلوا إلى الجزائر و اشتروا ما يلزمهم لسفرهم إلى مراكش حتى دخلوا في حضرة السلطان في فاس ، فقدمهم صالح كبير الأتراك للسلطان و زينهم له في الكلام و أوهموه بأنهم فروا من جند الجزائر فضمهم إلى جيشه وحرسه الخاص من الأتراك ومكثوا فترة من الزمن عنده فلما خرج إلى موضع يقال له آكلكال بظاهر تارودانت، وفي نهاية 964هـ الموافق ل23أكتوبر 1557م، فانتظروا الفرصة المناسبة بعد خروجه من خيمته لمشاهدة المناورات العسكرية و لما هم بالرجوع إلى خيمته وقع على الأرض بسبب اصطدام قدميه بحبل الخيمة ، فأسرع صالح الكاهية إليه وقطع رأسه بشاقورة و فصل رأسه عن جسده و وضعه في كيس و قتل الأتراك جميع حراس الشريف بالخيمة التي نصبت على ربوة فوق المعسكر و أخذوا خيول الحراس وتحصنوا بحصن تارودانت بعد أن احتلوها و تحصنوا بها لكن محمد الغالب ابن السلطان المغتال هاجم الحصن و حاصره لكن احد اليهود غدر بالأتراك و فتح أبواب الحصن و وقع بين الطرفين قتال ولم ينج من الأتراك إلا القليل وقتل من جند الغالب ألف و مائتين جندي استطاع صالح الكاهية و من معه من القلة الناجية من بلوغ الجزائر وركبوا البحر و سلموا الرأس للسلطان العثماني فأمر يتعليقه على أبواب القلعة في شبكة من النحاس ، و قد قتل سلطان المغرب يوم الأربعاء 29ذي الحجة سنة 964هـ/1557م.[3]

المبحث الثاني : التوسع السعدي في الصحراء الجزائرية في القرن 16.

[1] أحمد توفيق المدني : المرجع السابق ، ص 360.

[2] الناصري ، المرجع السابق ، ج5، ص 35.

[3] نفسه، ص 36 .

بعد قيام دولة الأشراف السعديين[1] ، انطلاقا من الجنوب المغربي وحتى قبل أن تتمكن من بسط نفوذها على كامل أجزاء المغرب في منتصف القرن 10هـ/16م، عمل أوائل الحكام السعديين على مد نفوذهم نحوى الصحراء الجزائرية خصوصا "حاضرة توات" التي كانت تتحكم في محاور التجارة بين بلاد السودان ، والبلدان الواقعة شمال الصحراء، ومنها المغرب الأقصى، تلك المحاور التي لوحظ أنها مالت نحو الجزائر و تونس و غيرهما ، بعد اضطراب أحوال المغرب في النصف الثاني من القرن 9هـ/15م، العجز الوطاسي، عن فرض سلطتهم على جميع أنحاء المغرب، وخاصة جنوب ، وعجزهم عن مجابهة الخطر الخارجي، الذي استهدفهم، وعدم ثبات على حدود معينة ومعروفة تضمن سيطرتهم على المناطق البعيدة الصحراء.[2] ظلت المناطق الصحراوية عامة و توات خاصة تعيش في استقلال سياسي لفترات طويلة مع التزام بدفع الضريبة سنويا مرة إلى السلطة العثمانية في الجزائر ومرة أخرى إلى السلطة السعدية في المغرب، و لهذا شهدت المنطقة صراعا بين البلدين الأولى تسعى للدفاع عن أراضيها و الثانية تهدف إلى بسط نفوذها، و بهذا فقد بدأت المحاولات المغربية الأولى للسيطرة على توات في عهد المرينيين، إلا أن دولتهم تراجعت وضعفت، ولم يكن لأبناء عمومتهم الوطاسيين محاولات للسيطرة[3]

على توات نظرا لتحديات البرتغال و السعديين لهم، وبتمكن السعديين من إقامة دولة لهم على أنقاض الوطاسيين[4] ، عملوا مجتهدين للتوفيق بين حماية بلادهم من الخطر الإيبيري شمالا و التوسع

---

[1] الدولة السعدية : من الدول التي قامت بالمغرب الأقصى ، تنسب إلى محمد النفس الذكية ، فهم بنو عم العلويين ، وهذا ما أتبته اليفراني في نزهة الحادي ، أما المقري صاحب نفح الطيب ، فقد نسبهم إلى بني سعد بن بكر بن هوزان ، وقيل إنما لقبهم العامة بالسعديين تيمنا لأنهم سعدوا بدولتهم ، تأسست جنوب المغرب على يد أبي عبد الله محمد القائم ، إثر حركة شعبية حاربت البرتغال و الوطاسيين ، من ملوكها أبو العباس أحمد الأعرج ، و محمد الشبخ ،والمنصور الذهبي و ابنه زيدان ، عرفت ازدهارا فكريا و اقتصاديا ، حتى سقوطها على يد العلويين سنة 1069هـ/1659م.ينظر : أحمد بن خالد الناصري ، ج05، ص ص03-07 .

[2] سالم بوتدارة ، المرجع السابق ، ص 86.

[3] الناصري ، المرجع السابق، 36.

[4] **الدولة الوطاسية** : نسبة إلى بني وطاس ، من القبائل الصنهاجية ، اللمتونة ، قامت على أنقاد الدولة المرينية التي تشتت و ضعفت ، عقب التدخلات و الضربات البرتغالية على المغرب ، حيث يعتبر الزعيمان ، محمد الشيخ الوطاسي ، ومحمد الحلو من أهم زعماء بني وطاس ، اللذان تقلدا وظائف عليا في الدولة المرينية ، و حالا إنقاذ البلاد إثر التدخلات البرتغالية .ينظر: حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ ، ج 2، دار الرشاد الحديثة ، المغرب ، 1978، ص 194.

نحو توات و بلاد السودان جنوبًا ، هذه الرغبة في التوسع التي تجلت بوادرها منذ السلطان الثاني في دولة السعديين محمد الشيخ 964هـ/1557م إلى غاية السلطان أحمد المنصور 1603م .[1]

أولا : دوافع الحملات السعدية على الصحراء الجزائرية

نظرا للأهمية تحضى بها المنطقة التواتية ،كونها الممر المفضل لقوافل التجار المتجهين من شمال بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربي ، فقد كانت عرضة للمحاولات المتكررة من طرف المالك المتعاقبة على المغرب الأقصى، إلا أن تلك المحاولات تعارضت مع رغبة التواتيين في لاستقلال و مقاومة أي شكل من أشكل الاحتواء، فظلت توات لقرون عدة محل صراع بين السيبة و المخزنية[2].

كانت بيعة أبوالعباس احمد الأول المنصور بن المهدي (1012-986هـ/1578-1603م) بعد الفراغ من قتال النصارى بوادي المخازن يوم الاثنين منسلخ جمادى الأولى سنة ست و ثمانين و تسعمائة ، فقد كانت معركة وادي المخازن حاسمة في تاريخ المغرب لأنها أبعدت عنه البرتغال و الإسبان فلم يعودوا يقدموا على غزوه بعد ذلك ، كما نال المغرب نتيجة لهذه الحرب صيتها و سمعه في العالم الإسلامي كله ، والبنسبة لأحمد المنصور استفاد من الغنا العظيم ، واستفاد من ذلك في إحاطة حكمه بهالة من المجد و الغني و الهيبة لم يتح مثلها لأي حاكم مغربي آخر.[3]

تعتبر توات مركزا من المراكز التجارية الهامة فموقعها كواحة وسط الصحراء جعلها حلقة وصل بين الشمال الإفريقي و بين السودان الغربي حيث عملت على تزويد التجار بما يلزمهم من غداء و ماء و غالبا ما يقوم تجار السودان وتجار الشمال الإفريقي بعرض بضائعهم بها وهذا ما أشار إليه ابن خلدون حينما قال "فمنها على ثلاث مراحل قبلة سجلماسة و تسمى و طن توات وفيه قصور متعددة تناهز المائتين، أخذه من الغرب إلى الشرق وأخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت ، وهو بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد [4].

---

[1] عثمان حساني : البيئة الاجتماعية و الاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنيين الثامن عشر و التاسع عشر ، بن يوسف تلمساني ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جلمعة الجزائر ، 2006-2007 ، ص 61 .

[2] Mario vivarer, Au Sujet du Touat , Algzr ; librairie Michel Ruff, 1896,p 13.

[3] جلول بن قومار ، معركة وادي المخازن و أثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا (البرتغال –إسبانيا –فرنسا)، عمار بن خروف ،جامعة غرادية ، 1431-1432هـ/2010-2011م، ص 84.

[4] مبارك جعفري ، المرجع السابق ، ص 90-91.

كذلك كانت منطقة توات تعيش نوع من السبا و ذلك بحكم موقعها الجغرافي البعيد عن مركز السلطة العثمانية بالجزائر، وبهذا زاد طمع الحكام السعديين في بسط نفوذهم إليها و ما جاورها ، لهذا فإنا أهمية إقليم توات ومزاياه كما تجلت من النصوص المذكورةومن نصوص أخرى أقدم.[1]وأحدث منها كثيرة ، جعل منه محل أطماع دولة السعديين ، كما كان الإقليم محل اهتمام دولة الأشراف العلويين من بعدهم،واهتمام الدولة الجزائرية الحديثة والمعاصرة لهما ، وينفرد المؤرخ الفشتالي بالحديث عن التدخلات السعدية في الإقليم وعنه نقل من جاء بعده كالأفراني و السلاوي وغيرهما ، وذلك كان مرجعنا الأساسي فيها مع أنه يمثل وجهة نظر الدولة السعدية باعتباره مؤرخها الرسمي .[2]

ثانيا : الحملات السعدية على الصحراء الجزائرية في عهد محمد الشريف السعدي 1552-1557 في القرن 16.

بالعودة إلى تتبع سير لحملات المغربية الساعية لإخضاع الإقيلم بالقوة و الغوز نجد أن المصادرالمغربية تشير إلى الحملات التالية :

-الحملة الأولى سنة 1552، كان على رأسها كل من مولاي زيدان ، وأخيه الناصر ابني أحمد الأعرج بن محمد القائم بأمر الله مؤسس الدولة السعدية في 916هـ/1510م[3].و بها حاولا فيما يبدو تأسيس حكم لهما في إقليم توات ، الذي آوى أباهما لما تجهمت في وجهه الأيام و اضطره أخوه محمد الشيخ إلى ترك سجلماسة في 957هـ/1550م ،بعد أن جرده قبل ذلك من الحكم في مراكش في سنة 1544م[4].وقد باءت حملة الأخوين بالفشل حيث تمكن أهالي الإقليم من هزم حملتهما في واقعة كابرتن(kaberten)[5].

---

[1] ابن بطوطة محمد بن إبراهيم :تحفة النظار في غرائب الأمطار و عجائب الأسفار ، ط2، ج2.أنظرأيضا كتاب العبر ص 123.

[2] الفشتالي ، المرجع السابق ، ص 73.

[3] الوفراني التاجر المراكشي النجار محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، المطبعة بمدينة أنجي ، 1888، ص 16 .

[4] ساءت العلاقات بين الأخوين أحمد و محمد الشيخ ابني القائم بأمر الله في الفترة 1541-1544، و تمكن محمد الشيخ من الانتصار على أخيه ، وانتزع مراكش منه ن فلجأ أحمد و أبناؤه إلى سجلماسة قبل أن يقعوا في قبضة محمد الشيخ .أنظر : الأفراني ، المرجع السابق ، ص 22 ، و الفشتالي ، المرجع السابق ، 74 .

[5] Martin (A.G.p) : quatre siécles d'histoire marocaine.paris.1923.p 33.

وفي سنة 964هـ/1557م وجه السلطان محمد الشيخ المهدي من جهته إلى ذلك الإقليم، وفي نفس الوقت تقريبا وجه حملته آخرى لاحتلال إقليم تلمسان.وكانت الحملة على توات بقيادة واليه على سجلماسة القائد أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله .كان مصير تلك الحملة الفشل أيضا ، والعودة إلى المغرب بدون طائل ، حيث رفض أهالي الإقليم الخضوع و الاستسلام له وآثروا المقاومة ، والصمود في وجهه ، مما جعله يعود خائنا إلى سجلماسة ، بمجرد أن سمع بمقتل السلطان محمد الشيخ في أكتوبر 1557م/ذي الحجة 964هـ.[1]

ويبدو أن حكام المغرب السعديين الثلاثة ، الذين خلفوا محمد الشيخ ،وهم عبد الله الغالب . ومحمد المتوكل على الله ، وعبد الملك كفوا عن التدخل في الإقليم [2].الأول لأنه خشي أن يستغل خصومه الجزائريين وغيرهم ، غياب جيشه عنه ليها جموه في المغرب ، والثاني و الثالث لكونهما دخلا في صراع طويل ، أحدهما ضد الآخر انتهى بموتهما في معركة وادي المخازن في986هـ/ 1578/8/4م التي مات فيها أيضا ملك البرتغال الذي قاد حملة ضخمة لنصرة محمد المتوكل ضد عمه عبد الملك[3] .

ثانيا : الحملات السعدية في عهد السلطان أحمد المنصور1578-1603.

لما صفا الجو للسلطان أحمد المنصور[4] ، الذي تولى الملك في المغرب بعد ومقتل أخويه، وغنما غنائم كبيرة في تلك المعركة و أسلحة كثيرة بموقعة وادي المخازن، تمكن بها من دعم جيشه عدة و عددا[5]، تطلع من جديد إلى التوسع في توات ، تمهيدا للتوسع في بلاد السودان ، فوجّه حسبما تذكره بعض المراجع حملة في سنة 986هـ/1578م إلى بلاد توات مؤلفة من قبائل تافيلالت ، تمكنت من إلحاق

-(وهو ينقل عن مصدر محلي للتمنطيطي) .

[1] الفشتالي ، مناهل الصفا ، المصدر السابق ، ص 74 .

[2] نفسه ، ص 74 .

[3] كريم ، المرجع السابق ، ص ص 97- 122 .

[4] أحمد المنصور الذهبي : بن محمد الشيخ المهمدي بن محمد القائم بأمر الله الزيداني الحسني السعدي ، اعظم الملوك السلعديين و أشهرهم ، ولد بفاس عام 1594م/956هـ ، بويع في ساحة معركة وادي المخازن يوم الاثنيين 4أوت 1578بعد وفاة السلطان عبد الملك ، دام عهده حوالي 26سنة أزهى عهود الدولة السعدية رخاء و علما و عمرانا وقوة ، توفي سنة 1012هـ/1603م.ينظر محمد حجي ، موسوعة أعلام المغرب ، ط1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1996م، ج3، ص 1124.

[5] جلول بن قومار : المرجع السابق ، ص ص 122-124.

أضرار كبيرة بالإقليم ، حيث قتلت ما يزيد عن 1300من أهالي الإقليم و أسرت و سبت الأطفال و النساء ثم عادت أدرجها بعد أن استنجد أهالي الإقليم بحاكم الجزائر[1].

وقد كانت الحملة المغربية المذكورة في الواقع بداية لحملات أخرى و جهها أحمد المنصور ،أقوى السلاطين السعديين ،لاحتلال الإقليم، و إجبار أهله على الخضوع عنوة .نذكر منها :

الحملة التي قادها في سنة 990هـ/1582م واليه على سجلماسة القائد عمر بن محمد ، و هذه الحملة لم تتمكن من الوصول إلى توات ، خوفا فيما يبدو من مصير مشؤوم ، فلم يجشم نفسه عناء التوغل في الإقليم ،فعاقبه المنصور بالسجن ، و أجبره على تعويض نفقات تجهيز الحملة [2].ثم جهز المنصور حملة أخرى أوكل قيادتها إلى القائدين : أبي عبد الله محمد بن بركة ، و أحمد بن الحداد العمري المعقلي ، و ذلك في سنة 991هـ/1583م[3]. وقد بدأ القائدان بالهجوم على منطقة تيكورارين قبل توات ، فتوجها مباشرة إلى تيميمون وكان رد أهل المدينة رفض الاستسلام مما دفع الجيش المغربي إلى إستخدام القوة بفضل المدافع التي أستقدمت من مراكش نحو المنطقة .[4]

نجد في مناهل الصفا وصفًا للهجوم الذي تعرضت له المنطقة و شراسة المهاجمين لها ، و استبسال أهلها في المقاومة و الدفاع عنها ، على الرغم من الفارق الكبير بين سلاح الفريق المعتدي و معتدى عليه، و مما جاء في ذلك الوصف " فزحفوا إليهم حينئذ من ساعتهم و أحدقوا بهم في معتصمهم ، و نصبوا عليهم مدافع النار وقد كانوا استأجروها إليهم من الحضرة و زجرهم بحصى السماوي منها ، و ألحوا بالحرب على أسوارهم و دلفت إليها الأجناد و تنادوا بشعار النصر ي ، و تهافتوا على البلد المحروب و تهافت الفراش ، و أرعدت رعود النار من كل جهة فأرسلوا عليها شآبيب الرصاص ، و أطبق عليها نيل ديجوجي من البارود ، و تبوأ الرجال مقاعدهم للقتال لصق الأسوار و الفرسان تحوم حولها حوم العقبان على الفريسة .وحمى الوطيس ، و ضحت الأرض من صواعق النار الموقدة ، و أبلى القوم في الدفاع من وراء الجدران ن و امتنعوا من إلقاء اليد فأذاقهم العساكر نكال الحرب ،

[1] عبد الله حمادي الإدريسي : الفوات من تاريخ توات و صحاري الجهات ، ط 1، دار كوكب العلوم للنشر و الطباعة التوزيع ، الجزائر ،2019 ، ج 1 ، ص 137 .

[2] الفشتالي :مناهل الصفا ، المصدر السابق ، ص 75 .

[3] الفشتالي ، المرجع السابق، ص ص 75، 76 .

[4] عبد الله حمادي الادريسي، المرجع السابق، ص 126.

وساموهم العذاب من النار الموقدة و إرسال الصواعق عليهم عامة يومهم حتى توارت الشمس بالحجاب فوصلوه بالليل ،ولم تمض منهم طائفة حتى اقتحموا عليهم البلاد غلابا و تناولتهم السيوف ..."."[1] أما ما تلا ذلك من بطش الأهالي ، ونهب لممتلكاتهم ، و استجابة المدينة ، فقال عنه الفشتالي " و انطلقت أيدي العساكر بالنهب و العبث في المنازل حتى ارتفع النداء بالأمن أ, لإبقاء على من تخطاه الأجل فسكنت الهنيعة و تقبض على رؤساء البلاد و أعيان القصور الملتجئين إليه عند الحصار فتلوا إلى محبسهم ..."."[2]

و بانقياد أو سقوط تيميمون بيد القوات السعدية وما جاورها من القصور كبيرة ، حيث أدى ذلك إلى انقياد سائر قطر تيكورارين للسعديين إلا الشطر الأقصى من الشط الظهراني ، الذي أبي أهله و امتنعوا عن الخضوع رغم ما حدث لتيميمون ، و استعدوا للمقاومة حتى الفناء، مما جعل القائدين السعديين يؤجلان الهجوم عليه إلى حين إخضاع تمنطيط ، و ما جاورها من منطقة توات ، فزحفوا إليها و حاصروها [3]، ولما لاحظ شيخها عمر بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن ألا قبلا له بمقاومة الحصار ، و التصدي للقوات السعدية ، و خشي أن يحصل لتمنطيط ما حصل لتيميمون، آثر الدخول في المفاوضة مع المحاصرين له ، ولما أستوثق منهم لنفسه و لقومه ما أراد من الأماني إستسلام لهم.[4]

وحسب الفشتالي فإن خضوع تمنطيط للسعديين أدى إلى انقياد سائر القصور التابعة لتمنطيط لهم من غير قتال ، ولما كان القائدان لم يطمئنا تماما إلى انقاد الإقليم فقد اقتضينا من أهل المدينة الرهن على طاعة و أداء المغارم .

ثم عادت القوات السعدية بعد ذلك إلى الشط الظهراني[5] الذي أجلت غزوه و إخضاعه ، ذلك الشط الذي استمر أهله في الامتناع عن الخضوع لمهاجميه ، و تجمعوا في قصبة أولاد عبد الله للدفاع عن أنفسهم ، فازداد حقد السعديين عليهم ، فأجمعا على استئصال شأفتهم وقطع دابرهم ، وفي المناهل وصف للكيفية التي أتم بها السعديون احتلالهم لهذه القصبة نجتزئ منه هذا المقطع :

---

[1] الفشتالي ، المرجع السابق ، ص 76.

[2] نفسه ، ص 77 .

[3] جلول بن قومار : المرجع السابق ،ص 125.

[4] يوسف مناصري :حوليات المؤرخ ، مجلة دورية يصدرها المؤرخين الجزائريين ،العدد الأول 2002، ص 173-174.

[5] الشط الظهراني : يقصد بالشط الظهراني أي الجهة الشمالية من بلاد تيقورارين لأن الظهرة هي جهة الشمال .

"...وامتنعوا من إلقاء اليد حتى اقتحمت عليهم العساكر معتصمهم غلابا من بعد أن فاء فيء النهار ، وتبارى جيش الأسل ،وجيش النار في تناول راية السبق و إحراز الخصل في اقتحام القصبة على أهل الشقاق ، فلم يروعهم إلا انثيالهم من الفرج المتمثلة من السور بإلحاح المدافع عليه انثيال السيل فتناولهم القتل و حكموا السيف في الرجال منهم و النساء و الولدان حنق عليهم حتى كلت سواعدهم فتنادوا بهدم القصبة عليهم و إستيصال شأفتهم بالردم فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب حتى اصرعوا جدرانها إلى الأرض و ألصقوها بالرغم ، و هويت ردما على الخوارج فلم تبق منهم و لا من حيوانهم ، وسائر من يدب على الأرض من نعمهم و دوابهم عين تطرف فأطبق على الجميع تيار الهلكة ، فأصبحوا مثلا في الغابرين و عادت المنازلهم بلا قع كأن لم تغن بالأمس ...".[1]

ولهول ما شهده الشيخ عمر صاحب تمنطيط الذي أحضره السعديون معهم إلى الشط الظهراني من البطش و العنف و القساوة ومن الخسف و التدمير ...داخله رعب اعتل له من ساعته انتهك حتى أشرف على الثنية .[2]

و السؤال الذي يطرح نفسه هو هل استمر الإقليم خاضعا للسعديين ؟

لا يبدو أن أهاليه استمروا طويلا خاضعين للسعديين بل كانوا ينتهزون الفرص للتخلص من نيرهم واسترداد حريتهم مما كان يستوجب على السلطان السعدي إعادة الكرة ، المرة بعد الأخرى لإخضاع الإقليم .

وقد ذكر الفشتالي الذي تتبع جهود السعديين الرامية إلى إخضاع الإقليم أن عرب تيكورارين نجوا في القضاء على قائد الإقليم سعيد بن الحسن في سنة 996هـ/1588م و التحر من نيرهم . وقد كان رد فعل السلطان السعدي أحمد المنصور عن ذلك في السنة الموالية 997هـ/1589م يتمثل في توجيه حملة جديدة بقيادة أبي عبد الله محمد بن بركة ، حشد لها قوات كثيرة مزدوجة بالأسلحة النارية و المدفعية ، مما مكن القائد المذكور و مساعديه من إخضاع الإقليم ثانية لحكم السعديين بالقوة و إلحاق أشد العقاب بالمتمردين ،قتلا و تشريدا ، وتخريبا لممتلكاتهم و ذلك في نفس السنة ولكن

[1] الفشتالي ، المصدر السابق ، ص ص 73-78.

[2] عبد الله حمادي الإدريسي : الفوات من تاريخ توات و صحاري الجهات ، ط 1، دار كوكب العلوم للنشر و الطباعة التوزيع ، الجزائر ،2019 ، ج 1 ، ص 137 .

خضوع الأهالي في الإقليم لم يكن إلا مؤقتا ، حيث أنه لما مال وضع السعديين في المغرب إلى الاضطراب ، و عدم الاستقرار في أواخر عهد السلطان أحمد المنصور ، ولا سيما بعد وفاته في سنة 1012هـ/1603م ، و افتتان أبنائه من بعده ، ولسنوات عديدة على الملك مثلما تحررت مناطق كثيرة في المغرب من سلطتهم ، استعادت حريتها و استقلالها [1].

المبحث الثالث: نتائج الحملات و أهم المواقف من تلك التدخلات السعدية

أولا: نتائج الحملات السعدية على الصحراء الجزائرية

-إحكام السيطرة على منطقة توات و تيكورارين و ضمان دفع الضريبة لهم.

-اتساع الرقعة الجغرافية للمغرب الأقصى و بهذا زيادة هيبة أحمد المنصور في المغرب الأقصى .

-التطلع لغزو المناطق المجاورة لقطر توات و تيكورارين .

-كما كان لها نتائج على ممالك الإسلام في السودان الغربي منها مملكة الكانم[2] و البرنو[3] ومع أنها بعيدة المغرب الأقصى، تخوفت من المنصور، و كان ملوك الكانم مسلمين مخلصين فبعثوا بهدية جليلة إلى المنصور ، و الظاهر أنه طلب إليهم أن يبايعونه و يكونون من أتباعه، على أنه الامام القرشي الذي ينبغي أن تطيعة كل الملوك، فلم يجدوا بأسا من ذلك لأن و لا يكلفهم شيئا، فكتوا إليه أنهم يبايعونه و كان يصيته آنذاك عظيما[4]، وهذا ما أورده السلاوي قائلا "وفي سنة 790هـ ورد على المنصور الخبر وهو بمدينة فاس بقدوم صاحب مملكة برنو من ملوك السودان و جلب في هديته ما

[1] الفشتالي ، المصدر السابق ، ص 74..

[2] مع بداية القرن الحادي عشر ميلادي ، دخل الاسلام كانم وتقع إلى الشمال الشرقي لبحيرة تشاد دخل الاسلام على يد شخص من أصل أموي يدعى الهاي العثماني إستعان أهل كانم بالحفصيين في تونس، واستطاعوا أن يفتحوا الصحراء كلها في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي.ينظر : البكري أبو عبيد :المغرب في ذكر بلاد إفرقيا المغرب و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك ، مكتبة المثني، بغداد ، دتن ص 11.حسن ابراهيم الحسن، انتشار الاسلام في القارة لافريقة ، ط02، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ، 1963، ص 130.

[3] تقع بلاد برنو إلى الشرق من بلاد الحوصا، كانت احدى مقاعات الكانم، مرجع نفسه، ص 28.

[4] حسين المؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، العصر الحديث للنشر و التوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1992، مجلد 2، ،ص 297.

جرت عادتهم أن يجلبوه من فتيان العبيد و الإماء و كساء السودان و طرفه و كان من ذلك عدد كثير يناهز فواني المنصور بعسكره على رأس الماء من ساحة فاس ..."[1]

بعد الهدية التي أرسلها أهل الكانم والبرنو إلى المنصور و بعدما تم له فتح توات، تشوقت نفسه لغزو مايلي توات جنوبا من بلاد السودان وهذا ما صرح به كاتب دولته الفشتالي حينما قال" لما تم لمولانا الإمام الخليفة المنصور بالله أمير المؤمنين أيذه الله ما أراد من فتح إقليمي توات و تيكوراين ولاستيلاء على صقيعها الطويل المديد امتد عينه إلى فتح ما وراءه من بلاد السودان و كان الذي جاوره من ملوكها و تاخم بجهة الجنوب ممالك سكية صاحب كاغو".[2]

كان يحكم السودان في عهد المنصور "اسحاق بن داودا لاساكي"الذي كانت تصل مملكته إلة تغازي وبها الملاحات المشهورة و كان ملوك سنغاي يحصلون منها على مال وفير وكان للملح أهمية كبيرة عند الأفارقة و بشأن ذلك يقول إبن بطوطة " و بالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعون قطعا ويتبايعون من حجارة الملح،لا شجرة بها إمنا هي رمل فيه الملح.[3]وبهدا طلب المنصور من اسكيا اسحاق بن داوود أن يبعث إليه ذهب عن كل حمل ملح يبعه لتستعين بذلك في خراج عساكر المسلمين على جهاد الكفار[4]وحسب رواية الفشتالي فإن المنصور استفتى في ذلك فقهاء المغرب فافقوه"بأن النظر في المعادن مطلقا إنما هو للإمام لغيره، و أنه ليس لأحد أن يتصرف في ذلك إلا عن إذن السلطان أو نائبه".[5]ولم بعت هذه الفتوى إلى اسكيا لم يرد عليه ، فعتبرها أحمد المنصور إهانة فعزم على غزوه و إخضاعه بالقوة [6]، وقد أجمعت المراجع[1]على أن أحمد

[1] السلاوي، المرجع السابق، ص297.

[2] يرجع فضل تأسيس دولة سنغاي في كاغو بالسودان إلى محمد اسكيا الملقب باسكيا الكبير وقد تك ذلك عام 1493بعد ضعف امبراطورية مالي و انحلالها، وبعد وفاته توارث أبناؤه حكم البلاد ومن اشهر هم اسكيا اسحاق الذي سيدخل في خلاف مع المنصور وينتهي بغزو القوات المغربية المسلحة لبلاد السودان عام 1591فنقرضت بذلك دولة سنغاي و قضى على الأسرة الحاكمة بها .الفشتالي ، ص 79.

[3]ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 303.

[4] السلاوي، المرجع السابق، ص303.

[5] الفشتالي، المصدر السابق،303.

[6] نفسه،ص305.

النصور استغل الفوضى التي دبت في مملكة سنغاي للتدخل في شؤونها لاسيما و أنه كان يسعى إلى إستلاء على مناجم الملح في تغازي و الذهب إضافة إلى ما كان يمكن أن يشتريه أو يستولي عليه من العبيد الوثنيين، فكان استيلاء سنغاي على هذه المناجم وعلى الطرق الرئيسية التي تمر بها التجارة والتحكم بمسالكها وتحديد الأسعار، كان هذا كله يثير مخاوف مراكش و قلقها.و إذا كان ملوك مراكش قد قبلوا هذا الوضع في عهد حكام سنغاني الأقوياء، فان حكام هذه الدولة الذي جاءوا بعد "اكيامحمد"أي بعد عام 1528 لم تكن لهم هيبة تمنع مراكش من التدخل، و هذا ما جعل"المنصور يقوم بإرسال حملة لإخضاعها سنة 999هـ/1590م.على كل فان هذا الغزو لم تجلب للمنصور أحمد إلا مبالغ قليلة من ذهب الذي أنفقه بسخاء و أكد بذلك لقبه "الذهبي"لكن هذه الحملة أساءت إلى الإسلام في إفريقيا.[2]

بهذا فإن إقليم توات مثل بموقعه الاستراتيجي في قلب الصحراء و مركزه التجاري ، ملتقى للقوافل التي تربط المغرب و السودان الغربي و هذا ما جعل ابن خلدون يقول"إن فواكه السودان تأتي من توات وتيكورارين و ورجولان" و غن كان المنصور الذهبي بجملته على توات قد اكتفى بخراجها ، فانه أراد من خلالها غزو مايليها جنوبا من بلاد السودان و خاصة مملكة سنغاي للسيطرة على ذهبها و الاستفادة من عبيدها. [3]

ثانيا : موقف حكام الجزائر من التدخلات السعدية في الجنوب الغربي الجزائري

يمكن القول بالرجوع إلى سير الأحداث أن حكام الجزائر م يقفوا مكتوفي الأيدي تجاه تدخلات السعديين في الجنوب الجزائري، ولاسيما حين تكون ظروفهم في الشمال مناسبة ففي نفس السنة التي تحرك فيها ابنا الأعرج نحو توات في سنة 959هـ/1552م، تحركت من الجزائر حملة بقيادة حاكم الجزائر آنذاك صالح رايس في اتجاه الجنوب إلى توغرت و ورجلة لإحكام قبضته عليها و لا تخفى أنها من المدن الرئيسية التي كانت لها علاقة مع إقليم توات مناطقه، الثلاث تيدكلت، و تيكورارين و

---

[1] محمد خير فارس، تاريخ الحديث والمعاصر ، منشورات جامعة دمشق(1423-1424هـ/2002-2003م)،ص 73-74. كذلك محمد فضل علي وسعيد ابراهيم: المسلمون في غرب افريقيا-تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان،ط2007،1،ص121.كذلك أيضا حسن مؤنس،مرجع سابق،ص199.

[2] حسن مؤنس، المرجع السابق، ص 203.

[3] محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 80.

توات ، وكانتا تتحكمان في الحركة التجارية المتجهة من الشمال سواء من الجزائر أو تونس نحو بلاد السودان، وفي التجارة المتجهة من هذه الأخيرة نحو الشمال بحكم مرور القوافل التجارية عليهما ومن يتحكم فيهما يتحكم في تلك الحركة التجارية إن التوجه المتزامن الحاكم الجزائر نحو الأقاليم الجنوبية، مع توجه بعض الأمراء السعديين في حملة إلى تلك الجهات يمكن النظر إليه ، ولو إن المصادر لا تفصح عن ذلك صراحة على أنه محاولة منه لإبعاد نفوذ جيرانه عن تلك الأقاليم و إفهامهم أنها موضع الاهتمام لديه ، و هو ما يتضح أكثر في المواقف الآتية ذكرها:

فلما حاول محمد شيخ مد نفوذه بعد ذلك نحو تلمسان في الشمال الغربي وعلى إقليم توات في الجنوب الغربي في سنة 964هـ/1557م ،كان موقف حكام الجزائر منه حازم ، حيث بعثوا له كوكبة من الجنود الأتراك قضت عليه في أكتوبر 1557م /ذي الحجة 964هـ، و باءت محاولتاه في كلا الإقليمين بالفشل ، واضطرت قواته إلى فك الحصار عن تلمسان و توات ،ولانسحاب إلى المغرب.

وما يؤكد اهتمام حكام الجزائر بما يجري في إقليم توات و غيره من الأقاليم التي يعتبرنها من مشمولات أنظارهم بالعناية ، وما تذكره المصادر المحلية التي نقل عنها مارتان عن إسراع حاكم الجزائر إلى صد عدوان حملة مغربية أخرى تعرض لها إقليم توات سنة 1578م ، و إرساله فور اتصاله بطلب الاستغاثة من أعيان الإقليم فرقة من الجيش إليه لصد العدوان عنه ، و إعادة الهدوء و لاطمئنان له ، فلم تعد تلك الفرقة إلا بعد أن أكملت مهمتها .

أما موقف الحكام الجزائريين من حملات السعديين الأخرى على إقليم توات في عهد السلطان أحمد المنصور الذي يبدوا أنه كان سلبيا ، حيث لم يهبوا لإنقاذه من تلك الحملات التي تعرض لها في فترة 996-997هـ/1588-1589م، فلا يمكن أن يفهم إلا بالبحث في الوضع الذي كان قائما في الجزائر آنذاك ، فالسعديون لم يقدموا في عهدهم لسلطان أحمد المنصور على ضم إقليم توات تحت نفوذهم إلا بعد اطمئنانهم إلى أن الوضع في الجزائر و الدولة العثمانية من ورائها لم يكن في العقدين التاسع و العاشر من القرن 10هـ/16م، يسمح للحكام العثمانيين بالتدخل في المغرب أو تقييد حركته في أقصى الجنوب الجزائري أو في بلاد السودان .

فالدولة العثمانية قد مالت إلى الضعف و قبلت بالأمر الواقع في المغرب أي ببقائه مستقلا عنها بعد أن كانت تود إخضاعه إليها لتكمل سيادتها على البلاد العربية ، و على كل بلدان شمال إفريقيا على الخصوص ، و كانت آخر حركة شرعت في القيام بها لإخضاع المغرب ثم تراجعت عن إكمالها قد حصلت في سنة 989هـ/1581م.

و الجزائر دخلت في مرحلة جديدة في أعقاب ذلك التراجع أكمل الحملة على المغرب ، تميزت بالتداول السريع للحكام على كرسي الحكم في الجزائر قبل أن يمضي على حكم بعضهم فيها ثلاث سنوات ، و هكذا تم استبدال جعفر باشا في 1581بباشا جديد هو رمضان باشا ، ثم بحاكم آخر هو حسن فنيزيانو ثم بغيره ، مما جعل الجزائر لا تعرف في تلك الفترة بالذات استقرار مماثلا للاستقرار الذي عرفه المغرب في عهد السلطات أحمد المنصور الذي ظل على رأس السلطة في المغرب 25سنة من 986-1012هـ/ 1578-1603م .

كما تميزت تلك المرحلة في العقدين الأخيرين من القرن 0هـ/16م بقيام عدة ثورات هنا وهناك في الجزائر ، تطلب إخمادها بعضها جهدا كبيرا و وقتا طويلا ، كثورة بني عباس في بلاد القبائل و غيرها ، مما جعل حكام الجزائر ينشغلون عما كان يباشره المنصور في الجنوب الغربي للجزائر الحالية ، وفي بلاد السودان ، من توسع و بسط نفوذ و لو إلى حين .

خاتمة

من خلال ما تقدم في هذا البحث نخلص الى مجموعة من النتائج الآتية:

– كانت الصحراء ولا تزال مزيجا من الاعراق والقبائل المختلفة البربرية والعربية شكلت عبر التاريخ مجتمعا متجانسا تغيب فيه الفوارق وتجمع بينهم مشقة الطبيعة وشظف العيش.

-استطاع أهل الصحراء أن يطوعوا الصحراء لمقتضيات حاجيتهم الحياتية ، فانتزعوا ما يحتاجون إليه في بناء ثقافتهم و تطوير نمط الحياة الاقتصادية و الاجتماعية لديهم .

-استفاد أهل الصحراء مند القدم من موقعهم وسط الصحراء في التجارة وبفضل الموقع أصبحت أسواقها تمثل همزة وصل بين جميع القوافل العابرة للصحراء.

-تمثلت أهمية توات في تنوع بضائعها و انفتاحها على أسواق متعددة في الشمال و الجنوب و هي الميزة التي كانت سبب ازدهارها و استمرارها كمركز تجاري .

– انعكس النشاط الاقتصادي والاستقرار السياسي الذي تمتعت به الصحراء في أوائل القرن السادس عشر و حتى منتصفه، المتمثل في عدم خضوعها رسميا لأي سلطة خصوصا توات وما جاورها إلى دافع مباشر لشن الحملات عليها والسعي لغزوها و فرض السلطة السعدية عليها.

–يمكن القول أن أهالي توات ، رغم ميلهم إلى الوداعة ، وحب السلم، قد و جدوا أنفسهم مع بداية العصور الحديثة مضطرين للدفاع عن أرضهم و قصورهم و الوقف في وجه الطامعين فيها، و الراغبين في إخضاعها إلى سلطتهم. فقد أظهروا في مقاوماتهم بسالة، و بطولة شهد لهم بها المعتدون عليهم و ابلوا فيها بلاء حسنا على الرغم من الإمكانيات العسكرية المحدودة التي كانوا يتوفرون عليها والتي كانت تتمثل في السلاح التقليدي، و في الأسوار و القصور التي بدت كلها غير كافية مع شجاعتهم على مواجهة المدافع و الأسلحة النارية التي استعملها ضدهم المعتدون . وإذا كان أهالي الإقليم قد أجبروا على الخضوع إلى هؤلاء في بعض الأحيان ، فإن ذلك لم يكن إلا خضوعا مؤقتا حيث كانوا يتحينون الفرصة لإزاحة نير "الغزاة " عن بلادهم .

– يصح القول أن إقليم توات رغم كل المحاولات التي قام بها السعديون لربطه بدولتهم فإنه كان عندما يتحرر من نفوذهم يجد نفسه سواء في علاقته التجارية أو ارتباطاته الأسرية أكثر ارتباطا

بالأقليم الجزائري الشمالية و التي هو امتداد لها نحو الجنوب و هي امتداد له نحو الشمال ، دون أن يكون في ذلك قسر أو إكراه ، وهو تكامل طبيعي لجسم واحد .

-وصل المغرب الاقصى في عهد أحمد المنصور إلى أوج قوته و ازدهاره فقد امتد بتوسعه إلى أطراف الصحراء الجزائرية حتى وصل إلى السودان .

- يمكن القول أن العلاقات السياسية بين البلدين جلها كانت تعاملات يغلب عليها المصلحة المتبادلة و التي تحولت إلى صدامات بسبب سعي الاطراف للتوسع على حساب الآخر، كسعي حكام المغرب للتوسع على حساب الجزائر و سعي العثمانيين لكسب ولاء المغرب لتوحيد الجهد في سبيل القضية التي تهم الجميع و هي تصفية الوجود الأوروبي في شمال إفريقيا و اتخاذها قاعدة لاسترداد الأنذلس .

الملاحق

الملحق رقم (01): [1]

الشكل رقم 01

[1] عميراوي أحميده و زاوية سليم،المرجع السابق .

الملحق رقم (02)[1]

[1] عميراوري و زاوية سليم، المرجع السابق.

الملحق رقم(03): خريطة توزيع الغطاء النباتي [1]

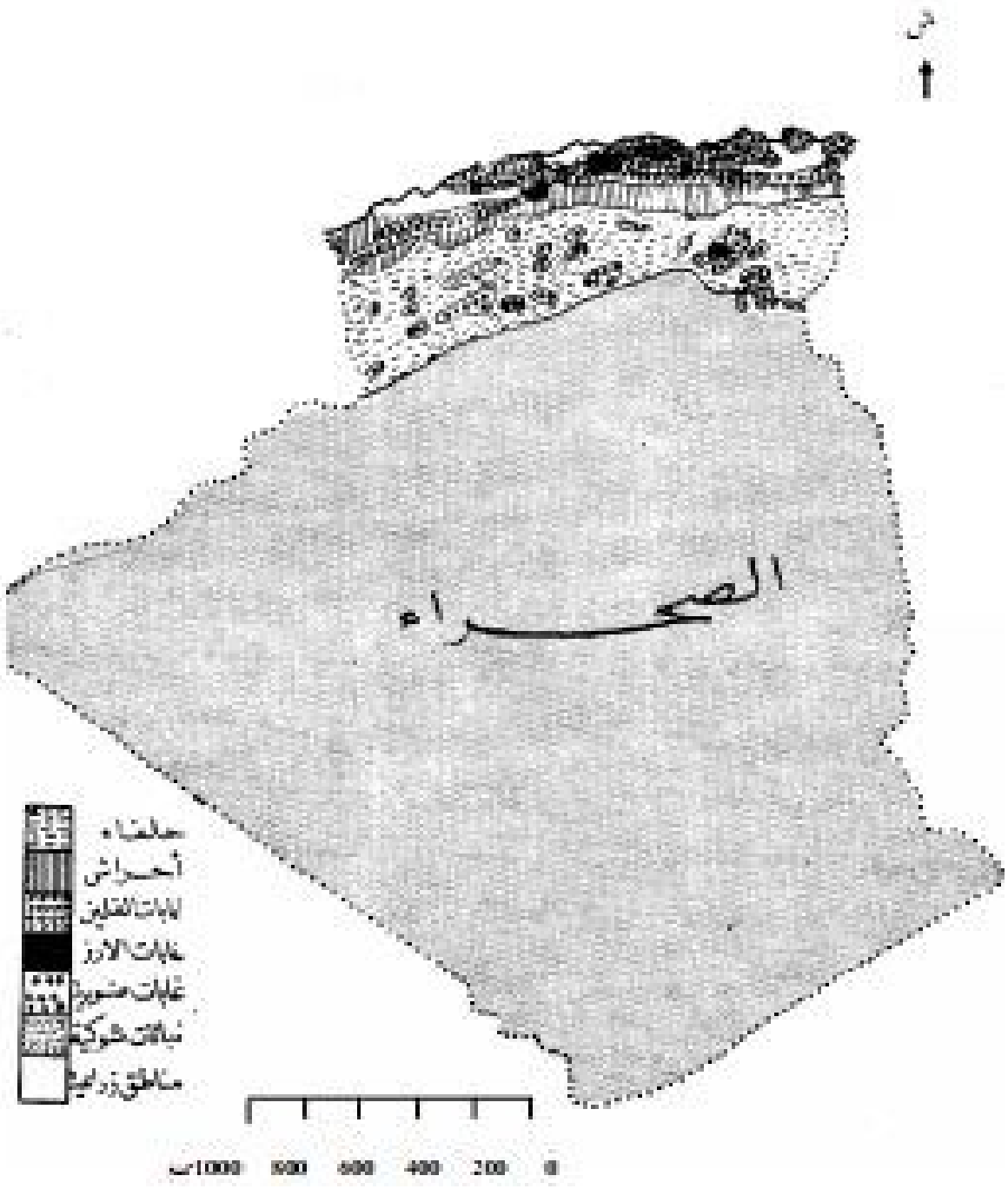

[1] جراية محمد رشدي: المرجع السابق ، ص 34.

الملحق رقم(04):):نوع من الأشجار الصحراوية التي تنبت بضواحي ورجلان[1]

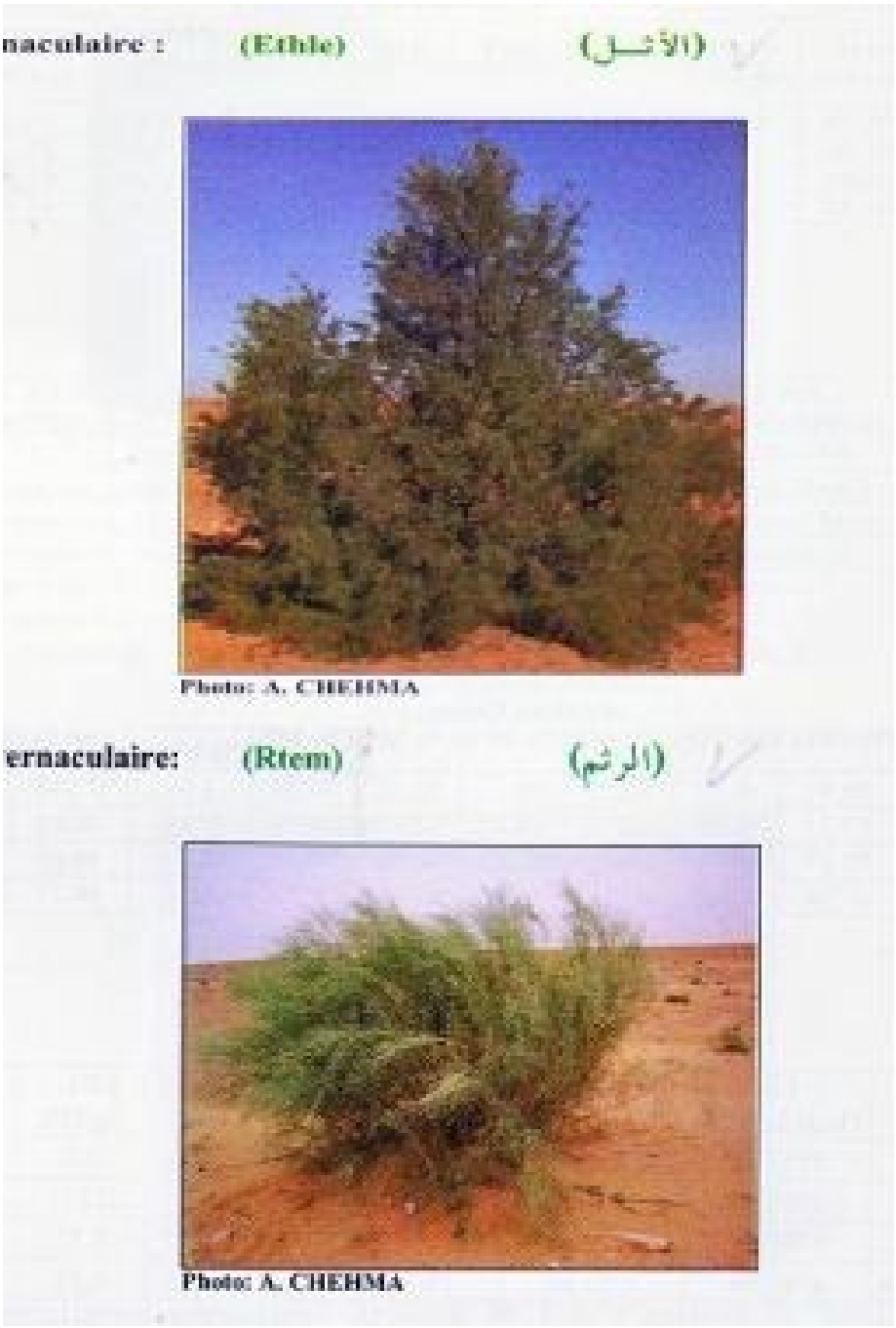

[1] أحمد ذكار: المرجع السابق ، ص 166.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر و المراجع :

1.المصادر المخطوطة و المطبوعة بالعربية

1.1-المخطوطات :

-ابن بابا حيدة : محمد الطيب بن عبد الرحيم : القول البسيط في أخبار تمنطيط ، مخطوط بخزانة الحاج محمد بكراوي ، زاوية سيدي البكري ، أدرار ، الجزائر.

-البلبالي محمد بن عبد الرحمان : غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا و المسائل ، مخطوط ، خزانة ملوكة ، أدرار ، الجزائر.

-بن مبارك محمد ، تاريخ توات ، مخطوط بخزانة المنصور ، أقبلي ، أولف ، أدرار ، ص 03.

-التمنطيطي محمد بن عبد الكريم : تقييد حول تاريخ توات و تمنطيط ، مخطوط بخزانة أولاد القاضي البكريين ، تمنطيط ، ورقة 01.

-التمنطيطي محمد بن عبد الكريم : درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، مخطوط بخزانة الشيخ عبد الله البلبالي ،كوسام ،أدرار.

-التنلاني عبد الرحمن بن عمر: رحلة حجية لعام 1188هـ ، مخطوط بخزانة قصر بن عبد الله، تيمي ، أدرار ، ص 03 . هذه محققة ماذا تقصد هنا

-الجنتوري عبد الرحمن : نوازل الجنتوري ، مخطوط بخزانة الوليد بن الوليد ، قصر باعبد الله ، تيمي ، أدرار ، ص 74 .

-مولاي محمد بن عمر الجعفري البوداوي : نقل الرواة عن من أبدع قصور توات ، مخطوط بخزانة كوسام أدرار.

-مؤلف تواتي مجهول ، تقييد تاريخ توات (ذكر ما وجد من الأخبار التواتية) ، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي ،كوسام، أدرار ، ص01.

2.1المصادر المطبوعة :

-ابن بطوطة : تحفة الناظر في غريب الأمصار و عجائب الأسفار ، دار صادر ، بيروت 2001.

-ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة تحفة الناظر في غرائب الأمطار و عجائب الأسفار ، تق و تح : محمد عبد المنعم العريان ، ط 1، دار إحياء العلوم ، بيروت –لبنان ، 1987م.

-ابن بطوطة محمد بن إبراهيم :تحفة النظار في غرائب الأمطار و عجائب الأسفار ، ج2، ط2.

-ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، مجلد 6، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، ط 4 ، بيروت ، لبنان ، 1421هـ- 2000م.

-ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد : كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق : خليل شحادة ، مراجعت :سهيل زكار ، بيروت ، دار الفكر، ج 07، 2001م.

-ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، مر . أنس محمد الشامي و محمد سعيد محمد ، ج1 ،دار البيان العربي ، القاهرة، 2006.

-أبو الفضل ابن منظور: لسان العرب، المجلد 4،دار صادر، بيروت، 1997

-أبوسالم العياشي : ماء الوائد ، مطبوعات دار الغرب ، المغرب، ج1 ، 1977.

-الضعيف الرباطي محمد (1165-1233هـ/1752-1818م) : تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)، تحقيق و تعليق و تقديم : أحمد العماري ، نشر دار المأثورات ، ط 1،الرباط ، 1406-1986.

-الفاسي الحسن بن محمد الوزان: وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، ط 2 ، 1983.

-الفشتالي أبو فارس عبد العزيز: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء ، تحقيق عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية و الثقافية ، الرباط ،دت.

-كربخال مارمول: إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و آخرون ، ج.ت.ت.ن ، مكتبة المعرف ، الرباط ج1، 1984 .

-المجهول : تأريخ الدولة السعدية الدرعية التكمدارتية ، تقديم و تحقيق عبد الرحيم بنحادة ، ط1، ، دار تينمل للطباعة و النشر ، مراكش 1994م.

-الوفراني التاجر المراكشي النجار محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، المطبعة بمدينة أنجي ، 1888

2 المراجع العربية :

-بوشارب عبد السلام : الهقار امجاد و انجاد ، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الاشهار ، رويبة ، الجزائر ،1995.

-بيار جورج: معجم المصطلحات الجغرافية ، تر : محمد الطفيلي ، مر : هيتم اللمع ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط 2 ،لبنان ، 2002.

-حلمي عبد القادر: جغرافية الجزائر طبيعية ، بشرية ، اقتصادية، مطبعة الإنشاء ، ط1 ، الجزائر ، 1968 .

-الحموي ياقوت ، معجم البلدان ، ج3 ، تحقيق فريد عبد العزيز الجدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،1995 .

-السيد أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر ، تفسير جديد ، ط1، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1992 .

-العربي إسماعيل : الصحراء الكبرى و شواطئها ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983.

-العروق محمد الهادي : أطلس الجزائر و العالم : دار الهدى ، السنة ؟؟؟؟.

-عطية شعبان ، و أخرون ، المعجم الوسيط ، ط4 ، مجمع اللغة العربية و مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، 2004.

-عميراوي احميدة ،سليم زاوية ، محمد السعيد قاصري : السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1816-1844م، ط1، دار الهدى ، الجزائر،2009 .

-المدني أحمد توفيق : هذه هي الجزائر ، دار البصائر ،الجزائر ، 2009 .

-موهوبي عبد القادر : ومضات تاريخية و اجتماعية لمدن وادي ريغ و وادي ميزاب و ورقلة والطيبات و العلية و الحجيرة ، دار البصائر ، الجزائر ، 2011.

-مياسي إبراهيم : توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912م، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، 1996م. الطبعة ؟؟؟؟

-اليعقوبي أحمد إسحاق : البلدان ، تحقيق محمج أمين الضناوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2002 .

-التواتي بومهلة : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار المعرفة للنشر ، الجزائر ، 2012 .

-جعفر بن أحمد الناصري : المحيط بالمهم من أخبار صحراء المغرب و شنقيط ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط 1، ج 02 ، 2015 .

-حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1964 .

-الحسن بن محمد الوزان: إفريقيا ، ط02، ترجمة : محمد حجي و محمد الأخضر ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي، ج02، 1983 .

-الدنياصوري جمال الدين و آخرون : جغرافية العالم ، ج 02، (إفريقيا و أستراليا) ، القاهرة ، المكتبة الأنجلو مصرية ، بدون تاريخ.

-زهراء النظام :العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية –ثقافية خلال القرن 10هـ/16م ،منشورات دار الأمان ، الرباط ، ط1 ، 1436هـ-2015م.

-عبد الحمد الخالدي : الوجود السلمي الهلالي في الجزائر ، دار هومة ، الجزائر، 2003.

-عبد الله بن جيلالي السائح : صفحات من تاريخ ورقلة مند أقدم العصور حتى الاحتلال الفرنسي ، الآمال للطباعة ، الجزائر ،ط1، 2010 .

-عثمان العكاك : منشورات تامنغاست ،ج 2، 1375هـ .

-عثمان العكاك ، البربر ، منشورات تامغناست، ج 1، 1375هـ.

-العمري فاروق : مبادئ علم الجيولوجيا ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، 2002.

-العوامر إبراهيم : الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1975 .

-غير ستر جورج ، الصحراء الكبرى ، ترجمة ، خير حماد ، بيروت ، المكتب التجارية للطباعة و التوزيع و النشر ، 1961.

-كحالة عمر رضا ، معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة ، ط2 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان، ج3، 1977.

-محمد باي بلعالم :الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام و الآثار و المخطوطات و العادات وما يربط توات من الجهات ، دار هومة ، ج 01 ، الجزائر، 1761-2005 .

-محمد حوتية : توات و الأزواد خلال القرنيين 12و13هـ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية ، ج 01، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007 .

-المليلي مبارك : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تقديم و تصحيح محمد المليلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر (د.ت) ، ج2 .

-موسى لقبال : دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية ، الجزائر ، 1979.

-موهوبي عبد القادر : ومضات تاريخية و اجتماعية لمدن وادي ريغ و وادي ميزاب و ورقلة والطيبات و العلية و الحجيرة ، دارالباصائر ، الجزائر ، 2011 .

-الناصري أبو راس : عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، تحقيق : المهدي البوعبدلي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، (د.ت) ، ج1.

-نجاح عبد الحميد : منطقة ورقلة و تقرت و ضواحيها من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال ، دار الآمال للطباعة ، الجزائر.

4.الموسوعات و القواميس و المعاجم :

-أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : الاستقاء لأخبار دول المغرب الأقصى الدولة العلوية ، تحقيق وتعليق : جعفر الناصري و محمد الناصري ، دار الكتاب ساحة المسجد لمحمدي الدار البيضاء ،ج07، 1418هـ/1997م.

-أبو عبد الله الشريف الإدريسي ، القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق ، تحقيق و تقديم ، و تعليق ، إسماعيل العربي ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1983 .

-أبي عبد الله محمد بن ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر العاصمة ، 1908م.

-الزبيري محمد العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، د ط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1972م.

-البكري عبد الحميد : النبدة في تاريخ توات و أعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري ، ط 04 ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007.

-بن الأخضر عبد الصمد: فهرس التاريخ السلطوي لإقليم وادي ريغ و الخضوع تحت سلطة المتغلب من عهد بني رستم إلى عهد بني جلاب ، الألوكة ، 2015-2016م.

-بن عبد الحكم عبد الرحمان: فتوح إفريقيا و الأندلس ، تحقيق ، عبد الله أنيس الطباع ، بيروت ، دار الكتب اللبناني ، 1964 .

-بن عبد الله عبد العزيز:الرحلات من المغرب وإليه عبر التاريخ ، ط1،دار نشر المعرفة ، المغرب ، 2001.

-بونار رابح ، المغرب العربي تاريخه وثقافته ، ط3،دار الهدى، عين مليلة ، الجزائر 2000م.

-جودة حسنين جودة : العالم العربي دراسة في الجغرافية الإقليمية ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 1998 .

-جودة حسنين جودة و علي أحمد هارون : جغرافية الدول الإسلامية ، الإسكندرية ، منشأة المعرف ، 1999.

-جوليان أندري شارل : تاريخ إفريقيا الشمالية ، تر محمد مزالي ، الدار التونسية للنشر و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، ج 2 ، 1978.

-الجيلاني عبد الرحمن : تاريخ الجزائر العام ، دار الثقافة ، بيروت ج03 ،1982.

-حركات إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ ، ج 2، دار الرشاد الحديثة ، المغرب ، 1978.

-سعد الله فوزي: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون ،ط1 ، دار الأمة ، الجزائر، 2004.

-سعيدوني ناصر الدين : ورقات جزائرية ، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، طبعة الثانية منقحة ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009.

-شترة خير الدين ، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي : المصطلح الثائر ، دار الطفيل ، الجزائر 2021 .

-الشهرستاني ، الملل والنحل ، تص ، أحمد فهمي محمد ، ج2، دار الكتب العلمية ، ط2، بيروت ، لبنان ،1992 .

-عباد صالح : الجزائر خلال الحكم التركي 1541-1830، دار هومة ، 2012.

-عباس عبد الله : الدور الحضاري لإقيلم توات ، الملتقى الوطني الأول ، العلاقات الحضارية بين إقليم توات و حواضر المغرب الإسلامي ، أدرار ، 2009.

-عبد الله حمادي الإدريسي : الفوات من تاريخ توات و صحاري الجهات ، ج 01 ، دار كوكب العلوم للنشر و الطباعة التوزيع ، الجزائر ، ط1 ،ج1، 2019 .

-فرج محمد فرج : إقليم توات خلال القرنين 18و19م ، ديوان المطبوعات الجامعية و المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1977.

-فيلالي عبد العزيز : تلمسان في العهد الزياني ، الجزائر، ج2، 2002.

-مارتان : أربعة قرون.

-مبارك جعفري : العلاقة الثقافية بين توات و السودان الغربي خلال القرن 12هـ، ط1 ، دار السبيل ، الجزائر، 2000 .

-محمد الأمين محمد ، محمد علي الرحماني ، المفيد في تاريخ المغرب ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب.

-محمود على عامر و محمد خير فارس ، تاريخ العربي الحديث المغرب الأقصى وليبيا ،الجمعية التعاونية للطباعة بدمشق ، سوريا.

-هولو جودت فرج ، البرامكة سلبياتهم و إيجابياتهم ، ط 1 ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، 1990.

-وولف جون : الجزائر و أوروبا ، تر ، أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1986.

-يوسف علي بديوي ، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب و المشرق من الميلاد إلى السقوط ، ط1 ،دار الأصالة ، الجزائر ،2010 .

3-الرسائل الجامعية :

-الأزهري عباز : نظام المشايخ في ورقلة بين العهدين العثماني و الفرنسي 1903-1884م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة لخضر الوادي ، السنة الجامعية ، 2014-2013.

-بن خروف عمار: العلاقات بين الجزائر و المغرب ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ، تخصص تاريخ ،كلية الآداب ، قسم التاريخ ، جامعة دمشق ، 1983م.

-بودواية مبخوت : الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 8.-10هجرية ، سالمي زينب ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي ، جامعة آبي بكر بلقايد ، الجزائر ، 1434-1433هـ/2011-2012.

-بوسعيد أحمد : الحياة الاجتماعية و الثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ/18م ، مذكرة ماجستير قسم التاريخ ، جامعة أدرار ،2013/2012.

-جراية محد رشيدي : الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100ق.م-1000ق.م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2007-2008.

-جوير شيماء و غضبان نادية : المجتمع الريفي و علاقته بالحكم العثماني قي الجزائر عهد الدايات ، 1830-1971 م ، مذكرة لنيل شهادة ماستر في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، جامعة المسيلة ، السنة الجامعية 2016-2017 .

-حساني عثمان : البيئة الاجتماعية و الاقتصادية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنيين الثامن عشر و التاسع عشر ، بن يوسف تلمساني ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، جزائر ، 2006-2007.

-داود شريفي : التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الجزائري 1844-1912،مذكرة ماجستير ، حسينة حماميد ،قسم العلوم الإنسانية ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية و العلوم الإسلامية ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2015-2016.

-ذكار أحمد: حاضرة وارجلان و علاقاتها التجارية بالسودان الغربي من سنة 1000هـ إلى 1301هـ /1591م إلى 1883م ،محمد حوتية ، شهادة ماجستير ، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية – أدرار ، الجزائر ، 1430-1431هـ/2009-2010م.

-شربيتي أحمد : العلاقات الجزائرية –المغربية (905-1194هـ/1500-1780م) ، مراد قبال ، شهادة الماستر ، جامعة الجيلالي بونعامة ، الجزائر ، 2015-2016م.

-الشيباني ياسين : الفكر السياسي عند الشيخ المغيلي و دعوته الإصلاحية بتوات و السودان الغربي ، مذكرة ماجستير ، إشراف جهيدة بوجمعة ، قسم الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران 2007/2006.

-عليق ريحة : قصر ملوكة (دراسة تاريخية أثرية) ، مذكرة ماجستير ، قسم الآثار ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الجزائر ، 2002-2003.

-غطاس عائشة : الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر 1700-1830م(مقاربة اجتماعية –اقتصادية) ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، كلية العلوم الإنسانية ، قسم تاريخ ، الجزائر ، 2000-2001م.

-مياسي إبراهيم :الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، الجزائر،2002.

-الهادي المبروك الدالي ، التاريخ السياسي و الاقتصادي و الحضاري لمنطقة السودان الغربي من نهاية القرن 15 إلى غاية القرن 18 ميلادي ، أطروحة دكتوراه ، إشراف محمد رزوق ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة عين الشق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1997 .

-غنابزية علي : مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ/17م،رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر 2001، غ.م.

4.مقالات الدوريات :

-فيرو: بنو جلاب ، سلاطين تقرت ، المجلة الإفريقية ، العدد 23 .

-جعفر بن أحمد الناصري : المحيط بالمهم من أخبار صحراء المغرب و شنقيط ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط 1، 2015، ج 02

-عبد الرحمان تشايجي، الصارع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة: علي عازري، منشوارت مركز دارسة جهاد الليبيين ضد الغزو لايطالي ، الجماهيرية الليبية ، 1982م

-عبد الصمد بن الأخضر : فهرس التاريخ السلطوي لإقليم وادي ريغ و الخضوع تحت سلطة المتغلب من عهد بني رستم إلى عهد بني جلاب ، الألوكة ، 2015-2016م

-فاطمة الزهراء سيدهم : موارد ايالة الجزائر المالية في مطلع القرن 19م، دورية كان الالكترونية ، عدد 13 ، السنة السابعة ، سبتمبر ، 2011م.

-محمد بن معمر : علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية في الجزائر ، مجلة الحضارة الإسلامية ، العدد 12 ، جامعة وهران ، 01، جوان 2005م.

-المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954: فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية ، دراسات و بحوث الملتقى الأول حول فصل الصحراء عن الجزائر ، م و ب ح و.

-يوسف علي بديوي ، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب و المشرق من الميلاد إلى السقوط ، ط1 ،دار الأصالة ، الجزائر ،2010.

5.الملتقيات و المحاضرات :

-ثياقة الصديق ، نمط العمارة القصورية و مراحل الاستطان البشري بإقليم توات ، أعمال الملتقى الوطني الأول المشترك بين جامعتي أدرار و تيارت : العلاقات الحضارية بين إقليم توات و حواضر المغرب الإسلامي ، جامعة أدرار : 14أبريل 2009

-عباس عبد الله : الدور ابن بابا حيدة : محمد الطيب بن عبد الرحيم : القول البسيط في أخبار تمنطيط ، مخطوط بخزانة الحاج محمد بكراوي ، زاوية سيدي البكري ، أدرار ، الجزائر.

-البلبالي محمد بن عبد الرحمان : غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا و المسائل ، مخطوط ، خزانة ملوكة ، أدرار ، الجزائر.

-بن مبارك محمد ، تاريخ توات ، مخطوط بخزانة المنصور ، أقبلي ، أولف ، أدرار ، ص 03.

-التمنطيطي محمد بن عبد الكريم : تقييد حول تاريخ توات و تمنطيط ، مخطوط بخزانة أولاد القاضي البكريين ، تمنطيط ، ورقة 01.

-التمنطيطي محمد بن عبد الكريم : درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ، مخطوط بخزانة الشيخ عبد الله البلبالي ،كوسام ،أدرار.

-الجنتوري عبد الرحمن : نوازل الجنتوري ، مخطوط بخزانة الوليد بن الوليد ، قصر باعبد الله ، تيمي ، أدرار ، ص 74 .

-العياشي أبو سالم: ماء الموائد (رحلة العياشي) مخطوط بخزانة المطارفة ، أدرا ، الجزائر.

-مولاي محمد بن عمر الجعفري البوداوي : نقل الرواة عن من أبدع قصور توات ، مخطوط بخزانة كوسام أدرار.

-الحضاري لإقليم توات ، الملتقى الوطني الأول ، العلاقات الحضارية بين إقليم توات و حواضر المغرب الإسلامي ، أدرار ، 2009.

6. المصادر و المراجع باللغة الفرنسية :

1. المصادر

Martin (A.G.p) : quatre siécles d'histoire marocaine.paris.1923.

Mario vivarer, Au Sujet du Touat , Algzr ; librairie Michel Ruff, 1896

Faucon Narcisse , Le livre d'or de L' Algérie ,T.1,librairie Algérienne et coloniale ,paris , 1889 .

Numa Broc : « les Français face à l'inconnue Saharienne (géographes, explorateure , ingénieurs 1830-1881) », Annales de géographie , T.96, N°.535,1987.

LarnaudeMarcel , « Nécrologie-Augustin Bernad(1865-1947) » , Annales de Géographie , T. 57, N°305,1948. -

Augustin Bernard : « Sahara Algérien et Sahara Soudanais » ,Annaales de géographie , T.19, N°105, 1910.البلد

Emile Gautier : « Sahara Oranais », Annales de géographie , T.12, N°.63, 1903, .

Marini (A)&Talbi (M) ,Des ertificaton and RiskAnalysisUsing High and Medium

Resolution Satellite , Springer,2008.

Alkama (Dj) et Tacherift (AM),Essai d'analyse typo-morpholgique des noyaux urbains trditionnels dans la region des Zibans , Courrier du Savoir n°01, Univ . Biskra 2001.

Madeleine RovilloisBrgole : Lepays de Ouargla (Sahara Algerien),paris ,1975.

Voisin (A.R), Le Souf , Monographie, EL Walid , EL-Oued 2004, p.15.

Nadir Marouf , Leccure de l'espace oasien , Edition sindbad , paris 1980

Quenard ,reherches historiques dans dans Touat, p p212.

Herbut , les Foggara du Touat , Bullein de la société geographie d'Algérie et de l'Afrique du nord : 4eme trimestre (1934)

Jacob Oliel , Les juifs au Sahara , GNRS èdition , paris , 1994 , p 21.

Bernard Saffry , Chronique du Touat , Ghrdaia , C-D-S

Rig (caputaine) , L'artsanatATamentikInstiue de recherche sahariennes ,Alger, 1961.

Haido(Fray Diego), Histoire des rois d'Alger, Traduit et annotée par :H –D, de Grammont, Adolph Jourdan Libraire - éditeur, Alger,1881.

M. Daumas, Le Sahara algérien, Etudes géographiques statistiques et historiques sur la région au sud des l'établissement françaises, Paris, 1845.

Y. Urvoy, l'histoire de l'empire de Bornou, Librairie Larose, Paris, 5ème éditions, 1949.

Revue africaine ,Les ben-djellab sultans de tougourt,n23 ; Annee 1879.
Revue africaine, histoire des rois d Alger,n 24, Annee 1880 .

Diego de Haédo. Topographie et histoire générale d'alger . tr: Monnereau et A. berbrugger.1870. immprimé a Valladolid en .1612.

ملخص:

الملخص:

شكلت الصحراء الجزائرية لفترات من الزمن الممر أو الطريق الرئيسي لمجوعة من القبائل الصحراوية خاصة في القرن 16م و كانت بمتابة الرابط بينها كونها تتميز بوجود مياه جوفية و آبار، فقد كانت مقصد القوافل و التجار العابرة لصحراء و كثير من المراكز و حتى المدن بفضل التجارة ، ومع دوخل العثمانيون للجزائر أصبحت السلطة العثمانية تتطلع لتحكم والوصل إلى تلك الإمارت الصحراوية التي تميزة بعناد و حب الحرية،كما صادفت قيام الدولة السعدية في المغرب الأقصى هي الأخرى تسعى إلى مد نفوذها على تلك الإمارات و الأقاليم الصحراوية الجزائرية ، وبهذا أصبحت تلك الأقاليم مسرحا لصرارع السعدي العثماني فكثيرا نخضعت لسلطة المغرب السعدي لكن لم يكن إخضاع تام فقد كانت تتحين الفرصة لتمرد عنها و الرجوع لحياة الإستقلالية و السبا ، وقد ترتبت عدة نتائج من تلك التذخلات السعدية منها وصولهم إلى السودان الغربي، و مد نفودهم، أيضا غظب حكام الجزائر منهم.

فهرس

فهرس المحتويات

العنوان	رقم الصفحة
إهداء	
شكر وعرفان	
قائمة المختصرات	
مقدمة	1
الفصل الأول : الصحراء الجزائرية خلال القرن 16م.	6
المبحث الأول : جغرافية الصحراء الجزائرية خلال القرن16م.	6
أولا:طبيعة الصحراء .	6
ثانيا: تضاريس الصحراء.	12
ثالثا: أهم الوحات الصحراوية .	18
المبحث الثاني: تعمير الصحراء الجزائرية في القرن 16م.	27
أولا: البربر.	26
ثانيا:العرب، اليهود.	22
ثالثا: الزنوج، البرامكة .	26
المبحث الثالث:الأوضاع الاقتصادية في الصحراء الجزائرية في القرن 16م.	34
أولا: الزراعة.	35
ثانيا: الصناعة.	36
ثالثا: التجارة.	37
الفصل الثاني: حدود إمتداد السلطة العثمانية في الصحراء الجزائرية في القرن 16م.	

المبحث الأول : علاقة السلطة العثمانية بالامارات الصحراوية.	42
أولا: علاقة السلطة العثمانية مع ورجلان.	43
ثانيا: علاقة السلطة العثمانية مع تقرت.	45
ثالثا: علاقة السلطة العثمانية مع طوارق و توات .	47
المبحث الثاني: الحملات العثمانية على الإمارات الصحراوية .	49
أولا:الحملة العثمانية على بسكرة.	50
ثانيا:الحملة العثمانية على تقرت.	50
ثالثا:الحملة العثمانية على ورقلة.	51
الفصل الثالث:الأطماع السعدية في الصحراء الجزائرية خلال القرن 16م.	
المبحث الأول :العلاقات الجزائرية السعدية .	59
أولا: العلاقات الإقتصادية .	60
ثانيا:العلاقات الإجتماعية و الثقافية.	64
ثالثا:العلاقات السياسية.	66
المبحث الثاني: التوسع السعدي في الصحراء الجزائرية في القرن 16م.	68
أولا: أسباب و دوافع الحملات السعدية على الصحراء الجزارية.	70
ثانيا: الحملات السعدية على الصحراء الجزائرية في عهد محمد الشيخ.	71
ثالثا: الحملات السعدية على الصحراء الجزائرية في عهد أحمد المنصور.	72
المبحث الثالث:نتائج الحملات و أهم المواقف من تلك التدخلات السعدية.	76
أولا:نتائج الحملات السعدية .	76
ثانيا:موقف حكام الجزائر من التدخلات السعدية في الجنوب الغربي الجزائري.	78
خاتمة.	74

الملاحق.	77
قائمة المصادر و المراجع.	83
ملخص.	95
فهرس المحتويات.	96